المشرق

الحقوق الدولية في الحرب

مقتطف من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول ببعض تصرُّف واختصار

سألنا كثيرون بنسبة الحرب الايطالية مع الدولة العليَّة ان نروي لهم خلاصة المعاهدات التي اتَّفقت عليها الدول في الحرب فلم نجد شيئًا اوفى بالمرام من ذكر بعض ما اثبتهُ احد طلبة كليتنا القدماء جناب الامير امين ارسلان تفضل جنرال الدولة العليَّة سابقًا في بروكسل وقنصلها في الجمهوريَّة الفضيَّة سالًا في القسم الرابع من كتابه حقوق الملل ومعاهدات الدول وهو مختصٌّ بالحرب ويشتمل على معظم الابحاث المنوطة باحوال المتحاربين فنروي ما تمَّ معرفتهُ قرَّاءنا

ل. ش

﴿ تعريف الحرب ﴾ الحرب هي القتال بين قومين واختلاف بين فريقين يُفصل بقوَّة السلاح وهي قديمة كقدم الانسان . فتحدث اما غيرةً او منافسةً او عدوانًا او طمعًا . واما غضبًا لله ولدينهِ . واما اخذًا بثار اهانة او لاسباب ماليَّة او اقتصاديَّة وغير ذلك مما يطول سردهُ

وقد اختلف العلماء والباحثون بهذا الفنّ في شرعيَّة الحروب وظلمها . في مدنيَّتها ووحشيتها . فنسب لها قوم جميع آفات البشر دينيًّا وادبيًّا وماديًّا وعارضهم آخرون بانَّهُ اذا كان للحرب مضارّ فلها فوائد وادَّعوا انَّها عنصر من عناصر التمدن والترقي

والحق يقال انَّ الحرب ويل وبلاء لكنها ملاصقة للبشريَّة . واشدّ الامم ميلًا الى السلم تحتاج احيانًا الى الحرب دفاعًا عن حقوقها وذَوْدًا عن حدودها او مساعدةً لجار او خوفًا من بطش عدوّ اوغير ذلك من الاسباب الداعية اليها وان السلم الدائم من المستحيلات

﴿ شرائع الحرب ﴾ لما كان العدوان طبيعياً في الانسان والحرب لاحقة بالبشرية والعمران وجب على المتمدنين من الاقوام وضع قوانين فرعيَّة يُعمل بها وترتيب نظامات يُرجَع اليها تخفيفاً لويلاتها وتعديلاً لمصائبها وبلائها. نعم انَّ الحرب هي الاستنجاد بالقوَّة ولكن ليس الى قوَّة ناشزة بلا رُبط ولا قيد ولا شفقة ولا حَنان. ومن ثمَّ وُضعت لها قواعد مبنيَّة وقوانين مسنونة وحقوق مرعيَّة وشرائع معروفة

وحقوق الحرب وقواعدها ظهرت اوَّلاً في القرون الوسطى في عهد طائفة الفرسان (Chevalerie) فاخذت تسير بسيرٍ المدنيَّة والعمران عند الامم والشعوب في ذلك العهد فلمَّا وجدوا ان الحرب لا بُدَّ منها وانَّ الغائها من الامور المستحيلة رأوا من باب الصواب تعديل عادتها الوحشيَّة التي كانت ابادة الخصم واحلاء اثر العدوّ واستئصال شأفته من الكون — والاكتفاء فقط بقهره الى حدّ ان يعجز عن المقاومة. فوضعوا لذلك قواعد تعاهدوا على احترامها وسنُّوا قوانين عملوا بموجبها فاخذت تلك العادات بالارتقاء وتلك القوانين بالانتظام. وتقلَّبت من طور الى آخر حتى عمَّت الدول المتمدنة ثم صارت واجبات ثمَّ تحوَّلت الى حقوق انتهت بشرائع دوليَّة عامَّة

وشرائع الحرب الحاضرة قائمة على امرين ومرجعها الى مبدأين: الاوَّل الضرورة وهي قهر الخصم وقمعهُ حتى يعجز عن المقاومة. والمبدأ الثاني مراعاة حقوق الانسانيَّة والدنيَّة بأن تُحصر الحرب بين جيشي الدولتين المتحاربتين فقط بدون ان تتناول الافراد الَّا في استثناءات لا بُدَّ منها

وقد عُني المؤلفون بجمع قواعد وقوانين الحرب واجتهدوا في تحديد حقوقها وواجباتها فلاقوا دون ذلك صعوبات جمَّة واوَّل قانون دولي للحرب سُنَّ في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٣ اذ اقترحت الحكومة الاميركيَّة الشماليَّة على الاستاذ ليبر وضع قانون يوزَّع على الضباط والجنود ليعملوا بهِ ويجروا بموجبهِ فوضع قانوناً لا يزال من افضل ما كُتب في هذا الموضوع واقرب ما يكون للعواطف الانسانيَّة واوفق للعمران ثم عُرض على مفوَّض خاصّ وصادق ليتكلون رئيس الجمهوريَّة على بنودهِ. ثم وُضع في اتفاق جنيفا في ٢٢ آب ١٨٦٤ قانون مختصّ بمعاملة جرحى الحرب

والجمعيّات المؤلفة لمساعدتهم. ثم اتفقت الدول في معاهدة بطرسبرج في ١١ دسمبر سنة ١٨٦٨ على قانون مختص بالقذائف المنفجرة. ثم عُقد بلياز نقولا الثاني في ١٨ آب سنة ١٨٩٩ مؤتمر دولي في لاهاي عاصمة هولندة تكرّرت جلساتهُ مرارًا مذ ذاك الحين ووضع المؤتمرون عدّة سُنن وقوانين صادق عليها مندوبو الدول ويبلغ مجموعها بنودًا متعدّدة يحتوي عليها كتاب المعاهدات الدوليّة (١).

❊ اشهار الحرب ❊ اذا حدث امر يدعو الى العدوان او رغبت احدى الدول بقطع العلائق السلميّة مع دولة أُخرى وجب عليها اخطار الدول بذلك وهذا البلاغ واجب لازم احتراما لمقام الدول المحايدة واعتبارًا لنفس مقامها اذ لا يخفى بانّ من واجبات الدول العظمى صيانة حدودها واحترام تخومها فاذا اجتاز جيش منظم حدود الدولة المجاورة بدون اخطار ولا اشهار حرب حقّ لتلك الدولة معاملة اولئك الجنود معاملة اللصوص وقطّاع الطريق. واذا عاملت الدولةُ المهاجمةُ الدولةَ المدافعة بمثل ذلك لم يبقَ حينئذٍ للحرب وازع ولا رادع وذهبت الشرائع ضياعًا وعادت المدنيّة الى الهمجيّة. وعليه كان من الافضل اعلان الحرب رسميًّا وابلاغها الى الدولة المعادية. وكل دولة لا تجري تبعًا لهذه القاعدة العموميّة شذّت عن واجباتها الدوليّة

وتبليغ اعلان الحرب يكون اشدّ حاجة واكثر ضرورة اذا كانت الحرب بحرية وسبب ذلك إعلان ارباب السفن للخروج من مياه الدولة المعادية وتحذيرًا للتجار من ارسال بضائعهم الى موانيها قال هوتفيل: «كل سفينة تُحجز قبل اشهار الحرب يُعدُّ حجزها من الاعمال القرصانيّة»

امّا كيفيّة اعلان الحرب في أيامنا فتكون امّا رأسًا الى الدولة المعادية وامّا ان تكون بطريقة اخرى كمظاهرة او اخطار او بلاغ نهائي (Ultimatum) وهذا البلاغ عبارة عن لائحة سياسيّة بعبارة صريحة قاطعة نهائيّة تتضمّن الاقتراحات المطلوبة لمحدّدة تحديدًا جليًّا وتطلب المجاوبة عليها جوابًا باتًّا بلا مطل ولا ابهام. وقد يحدّدون مهلة الجواب فاذا مضت عُدَّ ذلك الصمت اعلانًا للحرب. والمهلة يجب ان

---

١) اطلب مقالة الاديب عبد الله رزق الله شارّ (خير) في المشرق السنة الثانية ١٨٩٩ ص ٧٠٦ و٧٤٤) تحت عنوان «الحرب ومؤتمر السلم»

تكون معقولة اي لا طويلة تسمح للعدوّ بزيادة التأهب ولا قصيرة بنوع ان يعقبها زحف الجنود سريعاً

﴿ ابتداء القتال ﴾ انّ الحرب بعد اشهارها تُعطي لكلّ دولة مهاجمة كانت او مدافعة صفة المتحاربين وحقوقهم التي تمنحها معاهدات الدول وعادات الامم لكلّ جند او جيش محارب. وحقوق الملل في أيامنا هذه تقول صريحاً بانّ جنود الدولتين المتحاربتين هم وحدهم اعداء بالمعنى الوضعي لهذه الكلمة واماً ما بقي من رعايا الدولتين غير المنخرطين في الجيش فلا يُعَدُّون اعداء وعليهِ لا يجوز الحاق الاذى بهم ولكن قد يتّصل بهم ضرر من قبيل المعاملة بالمثل او وجوب المدافعة

ومتى أُشهرت الحرب تُقطع كل علاقة سياسيّة بين الدول المتحاربة على انّ هذا القطع ليس واجباً شرعيًا بل هو من قبيل العادة والاختيار اذ التاريخ يذكر حروباً كثيرة حدثت بين بعض الدول بدون ان تُقطع بينهما العلاقات السياسيّة ممّا يُساعد على عقد السلم سريعاً. وعليه اذا بقي السفراء في مراكزهم وجب المحافظة على كرامتهم وابقاء جميع حقوقهم وامتيازاتهم الممنوحة — ولكن الافضل استدعاء معتمدي السياسة خوفاً من هرج الشعب فتعطي كل دولة حينئذٍ لمعتمد الدولة الاخرى جواز مروره (باسبورت) ثم تُعلن بانها قد استرجعت براءتها التي منحتها لقناصل الدولة المعادية في جميع مملكتها فيجب حينئذٍ على القناصل تسليم سجلاتهم الى قناصل الدول المتحابّة وتكليفهم بحماية رعاياهم الذين يرغبون في البقاء بارض الدولة المعادية اثناء الحرب

والحرب كما لا يخفى تفسخ جميع المعاهدات السياسيّة والودادية المعقودة قبلها مع الدولة المعادية. امّا المعاهدات المتعلقة بالحقوق الشخصيّة التي لها مساس بالحقوق العموميّة كحقوق الارث والوصاية والافلاس والحقوق المُلكيّة عقاريّة كانت او ادبيّة او صناعيّة فهذه تبقى جميعها مستمرّة ويُعمل بها تبعاً للمبدأ الاساسي بانّ الافراد ليسوا اعداء

والقاعدة التي جرت عليها الدول في أيامنا بخصوص الافراد انّما هي وجوب اعطاء رعايا الدولة المعادية مهلة كافية للخروج سالمين من ارض العدوّ مع ذويهم

واموالهم وقد عمّت هذه القاعدة حتى صارت نظاماً عاماً وقانوناً متبوعاً

وقد يتفق كثيراً انّ بعضهم يرغبون في البقاء ولا يودّون الخروج من البلاد فيجب حينئذٍ على الحكومة مراعاتهم وحسن معاملتهم تبعاً للمعاهدات الدولية والرفق بهم مع وضعهم تحت مراقبة الشُرَط ولكن يحقّ لها اخراجهم عنوةً عن المدن المحصنة او ابعادهم الى مكان بعيد من ساحة الحرب. وجملة القول انهُ يحقّ للحكومة اتخاذ جميع الاحتياطات التي تقتضيها امنيّتها والحركات العسكرية ولكنّ يجب ان يكون ذلك برفق وانسانيّة

وان سأل السائل هل يجوز حجز اموال رعايا الدولة المعادية وعقاراتهم فالجواب انهُ في أيامنا هذه قد اتفق السياسيّون بوجوب احترام اموال رعايا الدولة المعادية تبعاً للقاعدة الاساسيّة التي ذكرناها انّ الحرب لا تكون بين الافراد. فضلاً عن انّ تلك الاموال قد انتقلت الى الاجانب وقت السلم وتبعاً لشرائع البلاد والحرب لا تغيّر شيئاً من الحقوق الشخصيّة

ثمّ انّ الحرب تقطع عند اشهارها جميع العلائق التجارية بين رعايا الدولتين المتحاربتين. تلك عادة قديمة العهد ولا تزال مرعيّة الى أيامنا هذه

﴿ طرق اضرار العدوّ المحرّمة ﴾ انّ الحرب لا تعطي المقاتل حرّيّة الاختيار في طرق اضرار عدوّهِ فانّ حقوق الدول قد حرّمت الوسائل المخالفة للشرائع المدنيّة والمنافية للعواطف الانسانيّة

فمن هذه الطرق ما يكون بربريًا. منها جرحُ العدوّ اذا استسلم لان الجندي اذا كفّ عن القتال وجبت معاملتهُ كاسير حرب. ومنها الإجهاز على الجرحى والاعلان بعدم اعطاء الامان للعدوّ المقاتل سواء كان السبب بغضاً او انتقاماً او تهويلاً. ولا يجوز اهانة العدوّ ولا تعذيبهُ حتى لو كان ذلك في سبيل اجبارهِ على اباحة اسرار دولته ولا الفتك بهِ غيلةً او اغراء الغير على قتلهِ او اسقاطهُ من حق حماية الشرائع والاجازة لكلّ فردٍ قتلهُ

وبعض هذه الطرق ممنوع محرّم كاستعمال القنابل والقذائف والاسلحة التي تزيد في تعذيب الجرحى بلا فائدة او اطلاق الزجاج المسحوق او الرصاص المضوغ المشقوق المعروف باسم « دُم دُم ». ومن اكبر المحرّمات التسمم على اختلاف طرقهِ سواء كان

من قبيل تسميم الآبار او الانهار او الطعام او السهام. وكل من يلجأ الى استعماله اسقط نفسهُ من حقّ حماية الشرائع لهُ. وانما يجوز تحويل الانهار ومجاري المياه وتجفيف الينابيع لانَّ العدوّ متى حُرم من الماء اضطرَّ الى اخلاء مركزه

وكذلك لا تجوز الطرق الغدريَّة لانهُ يجب على كل من المتحاربين ان يكون على ثقة من استقامة عدوّه وشرفه وحفظه لشرائع الحرب. فلا يجوز مثلاً الاخلاف بالوعد او النكثُ بالعهد او الكذب بالقول او المهاجمة فجأة في اثناء هدنة او رفع علَم الصليب الاحمر الخاصّ بعربات الجرحى والمستشفيات على عربات الذخائر. امَّا الحيل غير الغدريَّة كالكامن والمهاجمة فجأة او غلباً او المظاهرة بالتهوّر او التهويل فجائز ومبنيّ على المثل السائر ان الحرب خُدعة وأجمعَ المشترعون على ذلك واتَّفقوا عليه في مؤتمر بروكسل سنة ١٨٧٤

وممَّا لم يجيزوهُ من الحيل استخدام اثواب العدوّ وازيائهم ولا اتخاذ شاراتهم ولا تقليد راياتهم

﴿ طرق إضرار العدوّ الجائزة والمحلَّلة ﴾ تجري الدول في ذلك على ما جاء في تعليمات الولايات المتحدة ثم تقرَّر في بنود معاهدات لاهاي: « ان ضرورات الحرب تجيز اتلاف العدوّ المسلَّح وكل نفس وُجدت في اثناء القتال ولم يُستطع انقاذها. ويجوز أسر كل عدوّ مسلحاً كان او اعزل اذا كان اسرهُ يعود بفائدة على الآسر ويسوغ عدم الباقي الحصينة والطرق والاقنية وقطع وسائل الاتصالات وحجز المؤن والذخائر والاستيلاء على مواقف العدوّ ومواقعه المحصنة ومحاصرتها برًّا وبحرًا او باطلاق القنابل

ويجوز التضييق على المحصورين وتعجيزهم حتى يضطرُّوا الى التسليم صاغرين. وكثيراً ما يوافق الحصارَ المحجومُ على الحصون والقلاع للاستيلاء عليها عنوة واقتداراً بدون انتظار مفاعيل المجاعة. وبالطبع يحقّ للمحاصر اطلاق القنابل على حصون العدوّ وقلاعه ليلاً نهاراً واحياناً على المدينة نفسها خوفاً من اطالة الحصار. وهذه الطريقة كثيراً ما تلقي الرعب في قلوب المحصورين فيحملون قائدهم على التسليم. ولقد اوصلت الاختراعات الحديثة رمي القنابل الى درجة فائقة من الاصابة ممَّا يجعل لهذه الطريقة خطارة كبرى

وجاء في البند ١٥ من تعليمات مؤتمر بروكسل بانهُ لا يجوز اطلاق المدافع على مدينة غير محصَّنة او مدينة قد استسلمت وفتحت ابوابها للعدوّ وانَّما كلُّ مدينة تظهر ثباتاً او دفاعاً حقّ للهجومُ عليها وجاز حصارها. وقد اجمع المشترعون بالنهي عن اطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك في الحرب او الثغور التجاريَّة الغير المحصَّنة الَّا اذا كان ثمَّت ضرورة حربيَّة فوق العادة

وجرت العادة ان يُخطر المحاصرُ ارباب السلطة بعزمهِ على رمي المدينة بالقنابل بدون وجوب تعيين الساعة لكي تتمكن النساء والاطفال والشيوخ من الالتجاء الى ملجأ امين ولكي تُصان كنوز العلم والصناعة والمتاحف في حرز امين

وعلى المحاصر ان يجتنب هدم المباني التي لا يفيد تدميرها شيئاً وخصوصاً المعابد والمياكل والكليات والمدارس والمتاحف والمستشفيات على شرط الَّا تكون حُوّلت بطريقة ما الى ما يُعدّ من مباني الدفاع. ويجب على المحصور ان يرفع على قمَّة تلك المباني علامة ظاهرة يعرفها العدوّ المحاصر. وقد جرت العادة ان تُنصب راية بيضاء عليها رسم الصليب الاحمر فوق المستشفيات وراية بيضاء على الكنائس والمدارس. وقد تقدَّم انهُ يجب الامتناع من استعمال تلك الابنية نهاية حربيَّة والَّا فانها تخسر ثقة العدوّ وحقّ لهُ تدميرها

ولكلّ محارب الحقّ في أسر سفن عدوه وتدميرها اذا كانت حربيَّة والاستيلاء عليها بجميع ما تحتوي من الاموال والرجال او الاسلحة والذخائر. وكذلك المراكب الاجنبيَّة التي يستأجرها العدوّ لخدمته وقد استثنوا السفن المستخدمة للمناوشة في السلم او لمبادلة الاسرى او المختصة بعلاج المرضى والجرحى الناشرة اعلامها الخاصَّة بها. اما سُفن المحايدين فلكلّ من المحاربين حقُّ المراقبة والتفتيش عليها

﴿ في المقاتلين ﴾ المقاتلون هم الجند على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم من عامل او محافظ او احتياطي او رديف او غير ذلك من برّي وبحري سواء كانوا من المتطوّعة او من المنظَّمة. فالجنود المنظَّمة تُعرف من ترتيبها وطرق تدريبها وشكل لبسها. ويدخل في ضمن المنظَّمة بقيَّة الموظفين كوكلاء المؤن وحافظي المال والقسس (خدمة النفوس) والاطبَّاء والممرضين وباعة المأكول والمشروب ولا يحقّ لاحد منهم حمل السلاح لانهم لا يُعدُّون مقاتلين بالمعنى الوضعي لهذه الكلمة وانَّما يجوز أسرهم ويجب تمييزهم

بالرعاية ما عدا الاطبّاء. فلا يجوز أسرهم عملًا بموافقة جنيفا. والفِرَق المتطوّعة تُعتبر ايضاً من المقاتلين ويحقّ لها المحاربة وتكون معاملتها عند وقوعها بالاسر تبعاً لقواعد الحرب ويشترط ان تعترف حكومتهم بهم وترخص لهم حمل السلاح تحت رئاسة قائد معلوم وتكون لهم ألبسة خاصة او علامة ظاهرة يُعرفون بها ويحملون الاسلحة جهاراً.

فهؤلاء كلهم يجوز قتلهم وجرحهم عند اشتباك القتال وتلاحم الجيشين. فاذا كفُّوا عن القتال او امتنعوا عن الدفاع امتنع قتلُهم او جرحهم اذ كل من عجز عن الإضرار لا يجوز ضرُّهُ ولا فرق فيما اذا كان العجز اختياراً كالتسليم او اضطراراً كنزع السلاح من يده غصباً فالعدوّ متى اصبح أعزل حُرم مسَّهُ

ولا فرق اليوم في كيفيّة معاملة الجنود الوطنيّة التي تحارب دولة عدوّة لها وبين الجنود والضبّاط المأجورين الذين ينخرطون في صفوف العدوّ طمعاً بنال او انتصاراً لهُ

واذا حدث أن خالف عدوّ قواعد الحرب وهتك حرمتها فذبح الاسرى او سكّان مدينة افتتحها عنوةً حقّ للعدوّ ان يلجأ الى المقابلة بالمثل ولا يخفى ما في هذا العمل من الظلم الفاحش والفظاعة الهائلة لأنها تقع بالطبع على الابرياء. والعدالة تقضي بوجوب مجازاة الفاعلين اذا وقعوا في يد العدو ولكن بعد ان يُحالوا الى مجالس الحرب لمحاكمتهم

وكذلك الجواسيس الباحثون في ارض العدوّ للوقوف على اسرارهم واستحكاماتهم فاذا أُلقي القبض عليهم في زمن السلم عُدَّ عملهم جرماً وحوكموا في المحاكم العاديّة ليجازوا تبعاً لشرائع البلاد واذا وقعوا في قبضة العدوّ في أبان الحرب أُحيلوا الى مجلس حربي فيُجازون عادةً بالإعدام

اما الروّاد من ضبّاط وغيرهم من الجند الذين يُعهد اليهم استكشاف مواقع العدوّ ومراقبة حركاته وترتيب قوّاته فاذا وقعوا في ايدي العدوّ كانوا اسرى حرب لانَّ عملهم كان ظاهراً

ثم انَّ معظم المشترعين يعدُّون راكبي المناطيد كالروّاد والمحاربين علانيةً فاجازوا تصويب المدافع والبنادق على المناطيد والسعي لاسقاطها فاذا افلحوا وسلم راكبوها وجبت معاملتهم كاسرى حرب

﴿ في غير المقاتلين ﴾ هم الاعداء غير المحاربين او غير العاملين من سكّان وغيرهم. فقد اجمع الشرّاع على صيانة مثل هؤلاء. وعدم التعرّض لحريّتهم. ومعاهدات الدول توجب حرمة اعراض النساء وصون الاملاك وعدم التعرّض الى المعتقدات الدينيّة وغالباً يتعهّد المحاربون على ذلك عند اشهار الحرب. وبناء عليه لا يجوز جرح احد من السكّان او تعذيبهُ او اهانتهُ ولا معاملتهُ بقساوة واستبداد وعلى الاخص خرق حرمة العيال او عرض النساء. ولا يجوز حملهم على قسَم يمين الطاعة والامانة الّا اذا كان الاحتلال نهائيًّا. ولا يجوز اكراههم على مشاركة العدو في قتالهِ مع ابناء وطنهِ او قسرهم الى ما يؤول الى ضرر بلادهم ولا الى خيانة الاسرار فانّ مثل تلك الخيانات توجب الجازاة عند جميع الحكومات

هذا وانّا الحرب هي حرب كما يقال فقد توجب ضرورتها اموراً لا بُدَّ منها أجازتها شرائع الحضارة رغماً عن قساوتها وظلمها كوضع الضرائب على سكّان المدن التي يحتلُّها العدوّ والاستيلاء على ما يحتاج اليهِ المحتلُّون من الادوات وتسخير الافراد بنقل المؤن والذخائر على خيولهم وعرباتهم . وجرت العادة ان يجبر الغالبُ سكّانَ المدن التي يمرّ فيها ان يدلُّوه على الطريق. ومن أُجبر على هذه الامور مُكرهاً لا يُعدّ عملهُ خيانةً

﴿ واجبات المتحاربين بعد القتال ﴾ على المتحاربين بعد الاعتراك والجلاء القتال واجبات هامّة توجبها الانسانيّة وفروض مقدّسة تدعو اليها المروّة والمدنيّة نحو من غانهم الدهر وسقطوا في حومة الوغى اماً قتلى واماً جرحى او اسرى

فالقتلى يجب صيانة جثثهم وحرمة ابدانهم واعادة ما يعثرون عليهِ في ثيابهم الى ذويهم بواسطة حكوماتهم اذا امكن . ثم يجب تحقيق شخصيّتهم بواسطة تذكرتهم وغرتهم مع كنية سجلّهم. ثم يُدفنون باكرام

اماً الجرحى والمرضى فلا شيء اولى من الاعتناء بهم وادعى الى الرأفة عليهم. ومن الواجب البديهيّ ان يعتني كل فريق بجرحاه ومرضاه ولكن قضت الشرائع الدوليّة على كل فريق من المتحاربين بالاعتناء بجرحى الفريق الآخر ومرضاه كانهم من جندهِ بلا ميزة او استثناء وقد استنبطوا لتلك الغاية مستشفيات نقّالة. وأُنشئت جمعيّة الصليب الاحمر بهمّة رجل سويسري الاصل من اهل البرّ والاحسان يُدعى هنري

ديران ولم يزل يسعى حتى تعاهدت الدول على صيانة تلك الجمعيات وعدم التعرُّض لها ووضعوا لذلك قرارات صادقَ عليها معتمدو الدول. وقد ابدلت الدولة العثمانيَّة الصليب الاحمر بهلال احمر في حربها مع روسيَّة وصار الهلال من ذلك العهد علامة مستشفيات الدول الاسلاميَّة

امَّا اسرى الحرب فكان الاقدمون في سالف الزمن يعتبرونهم كعبيد لا تحميهم شرائع الانسانيَّة فكانوا يذبحونهم كالاغنام بلا شفقة ولا حنان بل كان الاشوريون وغيرهم من الامم اذا فتحوا بلداً اعتبروا عموم اهله كاسرى بلا تمييز في الاجناس والاعمار فشاع المثل: ويلٌ للمغلوبين. اما في عهدنا عند الامم المتمدّنة فالاسر عبارة عن حجز موقَّت يمنع الاسير من مساعدة قومه في القتال او الدفاع. ويكون تحت سلطة الحكومة وحمايتها فللظافر الحقّ في حرمانه من حريَّة الرجوع الى معسكره ولكنَّهُ لا يحقّ لهُ قصاصهُ او تعذيبهُ او اهانتهُ او تشويههُ او حرمانهُ من الطعام او الشراب باعتبار كونهِ وقد وقع اسيراً. وواجبات الاسير الرضوخ لنظام الظافر فاذا تمرَّد او عصى حقّ عليهِ الجزاء او القصاص فيُحال الى مجلس عسكري واذا ارتكب جرماً عومل بموجب ذلك النظام

ولا يجوز الاستيلاء على امتعة الاسرى او سلب ما عليهم من الحلي والدراهم فاذا دعت الضرورة الى نزعها من ايديهم وجب اعادتها حين تسريحهم. امَّا الاسلحة فهي بالطبع غنيمة الآسر وانما جرت العادة من قبيل المجاملة ان تُردَّ السيوف الى الضباط فقط. والاسرى يرسلون عادةً الى مدينة محصَّنة او معقل او معسكر ويحدّدون لهم محلًّا معلوماً لا يتعدّونهُ. ويجب معاملتهم بالرفق وعلى الحكومة الاهتمام بهم والعناية بامر معيشتهم تبعاً لشروط مقرَّرة بين المتحاربين واذا لم يكن ثمَّت شروط معروفة وجبت معاملتهم معاملة الجنود الظافرة على السواء وتبقى النفقة على العالب حتى يقع الصلح او التبادل. وينتهي الاسر بانتهاء الحرب وعقد الصلح فلا يبقى ثمَّت الا الاتفاق على شروط التسريح الماديَّة كالغرامة وما اشبهها

هذا وقد كتب المشترعون فصولًا ضافية في كل هذه الابواب اقتطفنا منها زبدة اقوالهم واهم آرائهم خوفاً من التطويل المملّ

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلَّلها شعر جاهليّ

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

لمحة تاريخيَّة

جاء في كتاب الاغاني ما ملخَّصهُ :

« كانت جليلة اخت جسَّاس البكريّ امرأة وائل كليب التغلبيّ . فلمَّا قتل جسَّاس وائلاً ووقعت حربُ البسوس بين بكر وتغلب رجعت جليلة الى اهلها فولدت غلاماً سمَّتهُ الهجرس . فنشأ في بكر لا يعرف نسبهُ حتى وقع يوماً بينه وبين رجل من بكر كلام منهُ وقف الهجرس على حقيقة نسبه ومن ذلك الحين عقد النيَّة على أخذ الثأر فانجز مقاصده وقتل خاله جساساً قاتل ابيه (نحو سنة ٥٣٦ م) »

غير انهُ لمَّا كان الرواة قد اختلفوا في هذه الحادثة رأينا ان نتصرَّف فيها بما يوافق المقام التمثيليّ . من ذلك اننا اختلقنا تزوّج الحارث بن عبَّاد سيّد بكر بجليلة بعد قتل وائل وجعلناه متبنّياً للهجرس فيكون هذا لا يعرف ابًا غيرهُ قبل ان يوقفهُ ثعلبة على حقيقة نسبه ويستحثهُ على الفتك بخاله

ولم يسعنا الَّا ان نضرب صفحاً عمَّا اثبتهُ الرواة للمهلهل (الزير) وتناقلتهُ فيه ألسنة العامَّة من الانقياد للاهواء . فمثَّلناهُ اشرف طبعاً واسمى مترعاً

وقد جعلنا للهجرس شقيقاً ولدته جليلة للحارث ودعوناه جليلاً فيكون هو رادعاً لاخيه عن اخذ الثأر ومصلحاً بين بكر وتغلب

واغلب الابيات تاريخيَّة من نظم الشعراء ابطال الحادثة فنقلناها مع بعض التصرُّف عن كتاب شعراء النصرانيَّة وغيره

اما الغناء فقد ضبطهُ اخونا الخواجا جان ابيلا على النسق الافرنجي وان عربيًّا . وسننشره ان شاء الله بضوابطه الموسيقيَّة في ذيل الرواية

المثلون

المجرس بن وائل . . . . . (تغلب)
عديّ المهلهل اخو وائل وامير تغلب . . . (تغلب)
سحبان صخر } من فرسان تغلب (تغلب)

الحارث بن عبّاد سيّد ذُهيمة وامير بكر . . (بكر)
جليل ولده واخو المجرس لأمّه . . . (بكر)
قيس صديق المجرس . . . . . (بكر)
عمرو من اصحاب الوعد . . . . . (بكر)
ذائك من فرسان ذُهيمة . . . . . (بكر)
شأر " " " . . . . . (بكر)

حسّاس بن مرّة سيّد شيبان وخال المجرس . . (شيبان)
ثعلبة لُكيز } من طلائع شيبان . . . . (شيبان)
نوبرة صديق حسّاس . . . . . (شيبان)
خالد من فرسان شيبان . . . . . (شيبان)

فرسان تغلب وبكر

ابن وائل

الفصل الاول

المشهد الاوّل

(يمثل المرسح مضرباً لبني بكر وبقربه حسّاً)

الحارث وحسّاس

الحارث بلّغني يا حسّاسُ . انك ارسلتَ الى حيّ تغلبَ غرسانَ وثعلبةَ كي يقتلا غدراً عديّا المهلهلَ . . . فعلتَ هذا على غيرِ علمٍ منّي

جساس نعم سيّدي الحارث. وقد مضى على ذهابهما أسبوعٌ ولا ادري ما جرى لهما. . . واما اني لم أعلمكَ الامرَ فلتعفُ عني وقتئذٍ

الحارث لو علمتُهُ في حينه لأنكرتُهُ عليك. ولولا حبّي اياك لسيّرتُكَ الساعةَ الى حيّ تغلبَ وسألتُكَ الى المهلهلِ بجريرتِكَ لئلّا أثير حرباً عواناً عليّ وعلى قومي. . . ولكني استدركتُ الامرَ . بعثتُ الى ثعلبةَ وغرسانَ أن ارجعا حالاً

جساس ما هذا مولاي ! أتُنكِرُ عليّ فتكي بالمهلهلِ . وهو اخو وائلِ كليبِ عدوّنا الالدّ ! المهلهلُ أسرفَ في قتل بني بكرٍ قومنا: هو قاتلُ نضلة وسيّارٍ وسعدٍ إخوتي. هو القاتلُ يومَ اراقَ دمَ ابنك بُجير: « بُؤْ بشِسْعِ نعلِ كُلَيب ». وانت تحمي رأسه وتُنكرُ عليّ قتلَهُ ! !

الحارث نعم قد كان ذلك كلّهُ على يدِ المهلهلِ. فتكَ بنا وبدّد شملنا وحفر المقابر لاحبابنا. فصلَ حشاشةَ قلبي عني. هدّدَ دمَ بُجَير حبيبي . حرّقَ قلبي وامرَّ عيشي

قُلْ لأمِّ الأغرِّ تبكي بُجَيْرًا حيلَ بين الرجالِ والاموالِ
وآمري لأبكينَّ بُجَيْرًا ما افى الماءُ من رؤوسِ الجبالِ
لَهْفَ نفسي على بُجَيْرٍ اذا ما جالتِ الخيلُ يومَ حربٍ عُضالِ
قَتَلُوهُ بشِسْعِ نَعْلِ كُلَيبٍ إنَّ قتلَ الكريمِ بالشِّسْعِ غالِ

. . . نعم قتلوهُ . . . انما قتلوهُ أثناء الحرب وقد نجّمَ المهلهلُ ديات القتلى وعقدنا الصلحَ منذ ذاك. أفيسوغُ لنا ان نخفرَ ذمّتَهُ وننكثَ العهدَ بان نفتكَ به ظلماً ؟

جساس قد طالما كان الغدرُ دأبَ المهلهلِ وقومهِ تغلب

تمدّت تغلبٌ ظُلْمًا علينا بلا جُرمٍ يُعدُّ ولا جُناحِ
سوى كلبٍ غوى في بطنِ قاعٍ ليَمنعَ حيّةَ القاعِ المُباحِ
فما ظُلْمًا يكونُ اذا ظَلَمْنا عُقابَ البغيِ رافعةَ الجَناحِ

الحارث الله يرذلُ الظلمَ والخداعَ في كل آن

جساس ولكنّ تغلب . . .

الحارث هذا يا جساس فضلاً عمَّا جبلتهُ على قومك من المصائب بدسّكَ الدسائس على امير تغلبَ

جساس مولاي اخذتني الحيرةُ من كلامكَ ألستَ انتَ القائل :

يا لُجيرِ الحيراتِ لا مُلحَ حتى تملأَ اليدُ من رؤوسِ الرجالِ
وتقرَّ العيونُ بعدَ بُكاها حينَ تسقي الدما صُدورَ العوالي

ثم لا يجلب الشرَّ على قومهِ من ينتقم لهم ؟

الحارث ألا اذا كان وراء الانتقام لهم انتقام الاعداء منهم وحروب وسفك دماء . علمتَ يا جسّاسُ ما اوقعت بنا حربُ البسوس منَ الخطوب . أجلْ قد كانت لنا الوقائع العظامُ كانت فيها الدولة على تغلب فافتخرَ قومنا بخيلهم ورجلهم وابطالهم . فوربِّ ربيعة انّنا لم نحتث بيسينا اذ حلفنا بان « تملأَ اليدَ من رؤوسِ الرجالِ » . بيدَ أنَّ بكرًا أهلي واهلك قد كادت تفنى في المعامع . . . ويلاه !

كم باكياتٍ تُرى برثين في وطني كم ثاكلاتٍ بأحزانٍ وأشجانِ
فالامُ في ملتقى والاختُ في جزعٍ حُزنًا على فقدِ اولادٍ وإخوانِ

. . . والآن قد لطفَ اللهُ بنا وخمدت نارُ الحربِ أفتريدُ في البلاء بلاء بان تعودَ فتُسعرها بانارتك بغضَ المهلهلِ وقومهِ

جساس لا . لستُ أريدُ مُصابَ قومي إنّما جلُّ مُرادي ان افتكَّ بالمهلهلِ فاني أبيتُ مُصالحةَ نذلٍ تندَّدَ باهلي وبطشَ بهم ولا ارتاحُ إلّا لإهلاكهِ

ابلغْ مُجلجلَ عن بكرٍ مغلغلةً منّكَ نفسُكَ من غيٍ أمانيها
تبكي كُليبًا وقد شالتْ نعامتهُ حقًا وتُنسرُ أشياءً تُرجّيها
فاصبر لبكرٍ فانَّ الحربَ قد لقحت وعزَّ نفسك عمَّن لا يواليها
فقد قتلنا كُليبًا لم نبالِ بهِ بنابِ جارٍ ودون القتل يكفيها

الحارث انت مخطئ .

جساس انا مخطئ ؟ تذكَّر قولك :

يا بني تغلبٍ قتلتم قتيلًا ما سمعنا بمثلهِ في الحوالي

قرّبا مربطَ النعامةِ مني ليس قولي يُرادُ لكن فعالي
قربا مربطَ النعامةِ مني وآعدلا عن مقالةِ الجُهّالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني ليس قلبي عن القتالِ بسالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لِبُجَيرٍ مُفَكِّكِ الأغلالِ
قربا مربطَ النعامةِ مني بكريمٍ مُتوَّجٍ بالجمالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لا نبيع الرجالَ ببيع النعالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لِبُجَيرٍ فداهُ عمي وخالي

(يدخل ثعلبة)

قرّباها بُرحفاتٍ حِدادٍ لاعتناقِ الكُماةِ يومَ القتالِ

الحارث (سكوت هنيهة) انكَ لمخطئ!

المشهد الثاني

الحارث – جسّاس – ثعلبة

الحارث ثعلبة !...
جساس وحده ! (الى ثعلبة) اين غرّسانُ ؟
الحارث ورسولي عمروٌ ؟
ثعلبة بذلا النفسَ في خدمةِ الامير . قتلهما الاعداء
الحارث هاتِ خبرَك
جساس وأوجز
ثعلبة بالقرب من حيّ تغلب غارٌ اليهِ كنّا نتردّدُ وفيهِ كنّا اودعنا اسلحتنا فبينا كنّا ثمّة كامنينَ للمهاليل نترصّدُ فرصةً لاهلاكهِ اذ وفد علينا عمروٌ رسولُ الامير فهمنا بالرجوع طوعاً لامرك مولاي . ولكن ما ابتعدنا قليلًا الّا ووراءنا قومٌ من فرسان تغلب عرفونا وشنّوا الغارة علينا فقبضوا على غرّسانَ وعمرو وقتلوهما...
جساس لانتقمنّ لأميني غرّسانَ
ثعلبة واما انا...
الحارث وانتَ ؟

ثعلبة أنقذني اللهُ فاني ما رأيت فرسان تغلب وثبوا علينا الّا وامتطيت جواداً كان يسرحُ هناك واسرعتُ الى الحيّ لأُعلمكَ مولاي بما جرى

الحارث وهل وجدتَ بني تغلبَ على أهبةِ الغزو ؟

ثعلبة لو تيقّنوا ما كنّا اضمرناهُ لهم من الشرّ لزحفوا علينا ولكن هيهاتِ ان يتيقّنوا ذلك فذهبوا وشأنهم بعد ان قتلوا غرسان وعمراً . وهاءنذا بين يديك وكلّنا على أهبة القتال لنأخذ بثار اخوتنا

الحارث لكنّ الرأيَ يقضي علينا بالتحفّظ

ثعلبة (وحده) الامير على حذر ! خابت مساعي

الحارث إذهب يا ثعلبةُ وأنذر القومَ في الحصن ليأخذوا حذرهم

ثعلبة (متردداً) سمعاً وطاعةً مولاي (يخرج من جهة الحصن)

المشهد الثالث

الحارث وجساس

جساس يقضي الرأي بالتحفّظ والتحصّن واما شرف الامير فيقتضي عليه ان يزحفَ بجيشه على المهلهل وقومه ويعاقبهُ على قتلهِ رجلين من بكرٍ

الحارث لا يعاقبُ من دافع عن نفسه فما لنا ان نطلب ديةَ غرسان . . واما عمرو . .

جساس نعمَ وسولك عمرو أفيذهب دمهُ هدراً ؟

الحارث كان لتغلبَ ان تقتلَ ثعلبة وقد بعثتهُ انت غدراً فافلتَ منهم بالحيلة فيكون عمروٌ عوضهُ

جساس أفتعتزل الحربَ اذن ؟

الحارث حسبنا الآن ان نتحفّظ ونتحصّن كي ندفعَ العدوَّ ان تعدّى علينا واما ان انكثَ العهدَ وانقضَ شروط الصلح بإثارة الحرب من نفسي بعد مصافحتنا لتغلبَ فذلك عارٌ عليَّ

جساس فاعتزلها إذن بقومك ضيعةَ واما انا فإني اجمعُ اليوم للحرب قومي بني شيبانَ . . . اكرُّ معهم على الاعداء ولا انثني عن الضرب والطعن حتى اسحقَ اهل المهلهل عن آخرهم وأبيدَ خضراءهم وغضراءهم

الحارث ذاك شأنك . انا حليف الدفاع ليس الّا . لا اتبـدأ بالعداوة فأناجز من عاهدتهُ بالصلح (يخرج من جهة الحصن)

المشهد الرابع

جساس وحده

جساس تمتّع تمتّع وحدك بالطمأنينة اسحب وراءك ذيلَ العار وتجلبب بثوب الذلّ الذي آثرتهُ على النصر والعزّ . . . واما انا فلا اختارُ الّا القتالَ . . . القتالَ لأجرّع كأس الردى المهلهلَ قاتلَ اخوتي . . . القتالَ حتى لا تبقى في تغلب أمٌّ الا ندبت ولدًا ولا أختٌ الّا بكت اخًا . . .

إني وربّ الشاعرِ النرورِ وباعثِ الموتى من القبورِ
وعالمِ المكنون في الصدورِ لأبنَّ رثبةَ المُنبرِ
الذئبِ او ذي اللبدةِ الهصورِ بصارمٍ ذي فنقٍ مشهورِ

نعم اني قتلت وائلًا وقد تكبّر وبغى وتجبّر وطغى . قتلت سَلَمة وعبد الله اخويه ولكن بقيَ اخوهُ عديٌّ المهلهلُ (يخفض صوته) بقيَ ولدهُ الهجرس . آه من لي بان اراهما صريعين على قدميَّ فاروي غُلّتي من دمائهما . . . امّا المهلهلُ فقتلهُ مقرّرٌ في اوّل وقعةٍ واما الهجرس . . . آه (يجلس) انَّ دون قتله عقبات . . . هو مقيمٌ بيننا ويحسبُ نفسهُ كانهُ واحدٌ منّا . اتت به طفلًا الينا أختي جليلة بعد قتل ابيه كليب وائل . فلا يدري الى الآن انهُ ابن عدوّنا الالدّ بل ينتمي الى الحارث بن عباد كانهُ ابوه وما الحارث الّا ابو جليل اخي الهجرس لأمه جليلة تزوّجها ابن عباد بعد مقتل كليب . . . هذا ما يصدّني عن قتل الهجرس . فان اوقعت بهِ شرًّا قامت عليَّ اختي جليلة . قام عليَّ بنو ضُبيعة باسرهم . والحارث سيّدهم تبنّى الهجرس وهو يحبّهُ كانهُ ولدهُ من صُلبهِ (يقف) . . . لكن صبرًا يا فؤادي فلأرمينّهم جميعًا بسهام الخداع وانصبنّ فخًّا اصطاد بهِ الهجرس وانفي عن الارض سُلالة وائل . (يلتفت) هوذا الهجرس دَعني انصب لهُ شراك المكر وأغريه بالسير معي الى الحرب . اجعلهُ رئيسًا على

فئةٍ من قومي واستحثُّ صديقي نويرة على قتلهِ خفيةً واذيعُ الخبرَ ان الاعداء فتكوا بهِ (يدخل الهجرس)

المشهد الخامس

جساس والهجرس

الهجرس انا لفي خطرٍ عظيم .

جساس مَهيم ؟ هل من عدوٍ مقبل ؟

الهجرس نعم قد حملت علينا تغلبُ. كنتُ على بُرج الحصن اترصد المقبلين فرأيت كتائبَ المهلهل زاحفةً الى الحيّ

جساس لكنَّ ثعلبة كان سكَّن روعنا

الهجرس ثعلبة ! خرج من الحي ولا شكَّ انهُ عادَ الى بني تغلبَ. هو خائنٌ مخادع

جساس ماذا تقول ؟

الهجرس تيقَّنَ ابي الحارث خيانته إذ رأى وسمعَ عقيبَ ذهابهِ غرسانَ وعمرًا

جساس عاد غرسانُ وعمروٌ ! إذًا ما اتانا ثعلبة الّا بالكذب والبُهتان أوضح لي الخبر

الهجرس قد ساء ثعلبةَ أن لم يرضَ ابي بقتل المهلهل غدرًا

جساس (مفتكرًا) كنتُ وعدتهُ بكافأةٍ لو نجحت مساعيه

الهجرس فلمَّا خابت آمالهُ بن نوالكَ طمعَ برُشوةٍ من بني تغلب فاخبرهم بتقاصدك فاستأسروا غرسانَ وعمرًا واشترطوا لثعلبة ان يجزلوا لهُ العطاء. اذا اتى حيَّنا وتجسَّس الحصن ونشر بيننا اخبار السلم لتقاعد عن التحصُّن

جساس تبًّا لهُ من خائن

الهجرس كل هذا والمهلهلُ غائبٌ فلمَّا عاد الى حيّهِ كرهت نفسهُ خيانة ثعلبة ولا شكَّ انهُ يطردهُ عند وصولهِ اليهِ . ثم أطلق المهلهل الاسيرين قائلًا : لا ارضى الّا بدمِ جساس وها هو زاحف الينا بقومهِ

جساس لأُعاقبنَّ ثعلبةَ على غدرهِ

الهجرس امّا الآن فبدارِ بدارِ وقد أرسلني ابي الحارث اليك . . .

جساس أيرغب ابوك في الحرب ؟

الهجرس نعم · يبتغي الدفاع عن الحي هو الآن في الحصن وقد اذكى العيون على الاعداء · مراده ان تذهب الساعة وتجمع قومك بني شيبان وقومهُ ضُبيعة فتأتي بهم اليه الى هذا المكان

جساس انا فاعلٌ (يخرج متردّدًا)

الهجرس ولكن يا خالي (يعود جساس) أسالك واحدةً

جساس وما هي ؟

الهجرس أتشتبكُ الحرب وتلتحم بين قومي والاعداء ولا اقتحم غمراتها ؟ اتكون لبكر الوقائعُ العظام وانا أترك كالطفل مع النساء لا أجرّد على العدوّ حساماً ولا أصوّب رمحاً فيقال عني خسيسٌ جبان وانا اشعرُ من نفسي ما اشعر من جُرأةِ الصدر ورباطة الجأش ومن الحب لبكر ما لا يشفى غليلهُ الّا ببذل النفس . كلّا ومبدعِ الخلق

حتى ابيدَ قبيلةً وقبيلةً وقبيلتين جميعا
وأذيقَ حتفاً آل تغلبَ كلها واهدَّ منها سَنَكها المرفوعا

جساس (وحده) رميتُهُ بحجرهِ واوقعتهُ في شَغَبِ (الى الهجرس) أفتريد خوض غمرات الحرب ؟

الهجرس تلك غايةُ منيتي

جساس نعمَ المطلبُ مطلبك يا فتى . . . فابقَ هنا ريثما اعود بابطالي فاني مُقدّمك على مئة منهم (يخرج جساس من جهة الحي)

المشهد السادس

الهجرس وحدهُ

الهجرس لا . لا ارضى بالذل والعار . لا ارضى بان أُعَدَّ جباناً منخوب القلب . لا ارضى بالقعود وقد نهض للقتال فرسان قومي أُباةُ الذلّ وكُماة الوغى

تلِدوني بهنّدًا للقتالِ ليس قلبي عن القتال بسالِ

قدوني هندًا للقتال مع رمح مثقف عسّال
قربا مربط المشهّر مني طال ليلي واقصرت عذّالي
قربا مربط المشهّر مني يا لتغلب ابن منكم وصالي
فخذوا حذركم وشدّوا وجدّوا واصبروا للقتال بعد القتال (يدخل جليل)

المشهد السابع

الهجرس – جليل

جليل اخي ما القوم في حركة وانتقال تُرى هل الأهبة للزوم ام دفاع

الهجرس الأهبة للدفاع يا اخي

جليل واي عدوّ مُغير علينا ؟

الهجرس بنو تغلبَ . . . لكن سكّن الروعَ أخيَّ فاني مدافع عن الحي وعنك فلأثبنّ على الاعداء ولاستأصلنّ شأفتهم

جليل ما ذا يا اخي ؟ اتذهب الى الوغى وتتركني وحدي غائصاً في بحر من الاكدار؟ أراكَ تخاطر بالحياة وانت قُرّة عيني ومُهجة فؤادي وحياتك اعزّ عليّ من روحي

ألستُ أعدُّ قربي منك ربحًا اذا ما عدَّت الربحَ التجارُ
فإن تَبعد فديتُكَ يا ابن أبي تناءى النومُ وامتنعَ القرارُ
فإن تبعد فديتُكَ يا ابن أبي اغادرُ كلَّ ما جوت الديارُ
ولستُ بخالعٍ حبّي ووجدي الى ان يخلعَ الليلَ النهارُ

الهجرس طِبْ نفساً أخيَّ فإنَّ الله القاضي عليَّ بالدفاع عن الوطن يعضدُني ويُعيدني اليكَ سالمًا ظافرًا

جليل وأُمّنا جليلةُ قد غذتكَ رضيعاً وأنتكَ غُصناً نضيرًا أفتتركني وأياها ولا لذّة لنا من العيش الّا بالقرب منك . كيف الفراق يا أخي ؟

قلبي بحبك مولعٌ حزني بقربك يُدفعُ
كيف الفراق وفيهِ لي داءٌ عُضالٌ موجعُ

(يدخل الحارث)

المشهد الثامن

الحارث – الهجرس – جليل

جليل رُحماك ابتِ ارْدَع اخي عمًّا نوى يريد البروز الى الوغى فيتركني وحدي

الحارث ما ذا يا هجرس ! أعن غير رأيي تنتظمُ بين فرسان الحرب وانا سيّدها . أبدون اذني تتناهى عن الحيّ . وانا ابوك واليَّ مفوّضٌ امرك

الهجرس معـاذ الله ابي أن أعصى لك امرًا ولكن أليس عارًا عليَّ ان تذهبَ الى الوغى ولا اسيرُ وراءك لأدفع عنك الاعداء

الحارث أبقَ هُنا وأدفع الكآبةَ عن قلب ابويك واخيك

الهجرس ومن يدفع عن قلبي الكآبةَ عليك ابتاه . اتركب الاهوالَ ولا اركبها

الحارث ان أبيت الّا الاقدامَ والبسالةَ فانا ملبٍّ طلبك . . .

جليل أبتِ ناشدتك الله آ . .

الحارث (الى جليـل) لا تخف بنيَّ (الى الهجرس) ان في الحصن يا هجرس أبطالًا ابقيتهم للدفاع عن الحي كن معهم فقد جعلتك عميدهم ومَلاك امرهم

جليل ولكن يا ابي . . .

الحارث بذا نرضى جميعاً . الهجرس محاربٌ غيرُ مفارق لك يا جليل والحصن كالحيّ والحيّ آمن له من ساحة القتـال (الى جليل) اذهب ولدي الى أمك وسكّن روعها

جليل رعاك الله ابتِ واعادك سالمًا

(يدخل جساس ونويرة وجند شيبان وضبيعة)

المشهد التاسع

جليل — الحارث — الهجرس — جساس — نويرة — جنود

الحارث وانت يا هجرس سِرْ الى الجنـد الباقين في الحصن وقل لهم اني قلّدتك الرئاسة عليهم

جساس (وحده) قد اخفق مسعايَ !

جليل تزوَّد بنا زادًا فديتكَ والدي فهل من وصالٍ بعد هذا التقاطعِ

الهجرس وكفكفْ باطراف الوداع تمنُّعاً جفونك من فيض الدموع الهوامعِ

الحارث ولديَّ أستودعكما اللهَ

(يخرج الهجرس من جهة الحصن وجليل من جهة الحي)

المشهد العاشر

الاشخاص اقسمهم ما عدى الهجرس وجليل

جساس مولاي قد جمع الله قومي وقومك لمقاتلة العدوّ هم بَطنان من بكر لكنّهم جيشٌ واحدٌ في حوزتك مُرنا نسرْ وراءك ونكرّ على الاعداء كرّ الصناديد

الجند ونفتك بهم فتك الاسود

الحارث نعمًا نعمًا يا فرسان لا ينشل القوم اذا تعاونوا

جساس وكي يتحققوا هذا التعاون فاني رأيت ان اقدّم الهجرس على فتية من بني شيبان

الحارث (يأخذ جساس على انفراد) لو لم يكن الهجرس تغلبيًا وابنَ اخي المهلهل لكنت استصوبت هذا الامر

جساس هو يجهل ذلك

الحارث لكنّا نحن على بصيرةٍ من الامر . . . لا تسرعْ لنا مخالفةُ سُنّةِ الله بان يُحمَل فتًى على محاربة اهلهِ . ثمّ إن الهجرس حديث السنّ لا يُحسن القتال

جساس (متهكّمًا) يخشى الامير على ولده

الحارث يحقّ لي ان اضنّ بدمهِ وقد كُلِفت بتربيتهِ وأحببتهُ كولدي أفما كفاني ان اخاطر بدمِ ابطالي . (يعود فيخاطب جنوده) أجل يا بني بكرٍ يعزّ عليّ ان اراكم تركبون الاهوال وتقتحمون المهالك ولكنّ المهلهل اقبل بجيوشهِ الجرّارة يبتغي النزال فلا يُنجيكم منهم اليومَ الّا الطعن والضرب فاصدقوهم القتال وامتنعوا بسيوفكم . حقّقوا آمالي لا تأخذكم جبانةٌ ولا تعودُنّ الّا وانتم ظافرون

الجند ورب ربيعة نحن ظافرون

الحارث ضمّت لنا ارماحُنا وسيوفُنا بهلاكِ تغلبَ آخرَ الأيامِ

الجند بهلاك تغلب آخرَ الأيامِ

جساس واذا الكرام تذاكرت أيامها كنّا على الايامِ خيرَ كرامِ

الجند كنّا على الايامِ خيرَ كرامِ

جساس أبعدَ مقتلهم بجيرًا عنوةً يرجون ودًّا آخر الاعوام
فئة من الجند كلًّا وربِّ الراقصات الى منًى
فئة ثانية كلًّا ورب الحلّ والاحرام
جساس حتى يُقيدونا النفوس بقتلهِ ويرومو في الشحناء كلَّ مرام
وتجولَ ربّات الخدور حواسرًا يبكينَ كلَّ مغاورٍ ضرغام

(غناء حربي في اثنائه يفكر جساس)

هيَّا بنا هيَّا بنا نحو العدى هيَّا بنا
وبلّا كم اعداءنا سقيًا لكم اصحابنا

يا قومُ سُلّوا المرهفاتْ ثم اشحذوا حدَّ الظُّباتْ
وبجًا لقلبِ الأبهاتْ يصبحنَ يومًا ثاكلاتْ
بسيوفنا وحرابنا
إنَّا لدى الهيجا صعابْ فنخوضُ غمرتها غضابْ
بعدورنا نلقى الحرابْ بسيوفنا نفري الرقابْ
مَنْ في الملا كشبابنا

(بعد الغناء يخرج الحارث مع الجند ولكن جساس يشير الى نويرة فيعودان متلصصين)

المشهد الحادي عشر

جساس ونويرة

جساس قد اخفقَ مسعانا في قتل الهجرس يا نويرة أمين شيبان
نويرة فهل من وسيلة سواها ؟
جساس ابقَ في الحصن واحتلْ على الهجرس حتى يقلّدكَ حراسةَ مدخلهِ
نويرة انعم بالًا مولاي
جساس وانا باعث من يستحثُّ رجلين من بني تغلبَ على قتل الهجرس وليس منهم من يعرف نسبه فاليك يأتيان
نويرة وانا أُمهّد لهما السبيلَ الى قتلهِ وانشر الخبرَ انهُ برز الى الاعداء فتفكوا به
جساس سأُجزلُ لكَ العطاء على خير العمل
نويرة سيكون ما تريد
جساس انا لاحقٌ بالامير (يُرخي الستار) (لها تابع)

ميمر مفقود

للقديس انسطاسيوس السيناوي

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوطِئَة

بين مشاهير الكتبة اليونانيَّة في القرن السابع كاتب بليغ وعالم كبير يُدعى القديس انسطاسيوس ترأَّس على دير طور سينا وفاوم كمعاصريهِ الشهيرين القديس يوحنَّا الدمشقي وثاودورس ابي قرَّة البدعة اليعقوبيَّة وتفرُّعاتها. وربَّما اشتبه على الكتبة اسمهُ فخلطوا بينهُ وبين كاتبين آخرين سبقاهُ بزمن قليل وهما اولاً البطريرك الانطاكي انسطاسيوس الذي دبَّر كرسي انطاكية من السنة ٥٥٩ الى ٥٩٨ للمسيح. وثانياً بطريرك آخر يُدعى انسطاسيوس ايضاً خلف على كرسي انطاكية انسطاسيوس السابق من السنة ٥٩٩ الى ٦١٠ وللاوَّل كتاب في العقائد المسيحيَّة والتعليم المستقيم المطبوع في مجموعة مين (Migne, P. G. t. 89 col. 1309, seq) وللثاني ترجمة يونانيَّة لكتاب البابا القديس غريغوريوس الكبير في تدبير الرُّعاة (De cura pastorali) . اما انسطاسيوس السيناوي فكان فيلسوفاً كبيراً ولاهوتياً محنَّكاً كما تدلُّ عليهِ الكتب الباقية لهُ منها كتاب الهداية (ὁδηγός) في المعتقدات النصرانيَّة (Migne. P. G., t. 89, col. 35-311) وكتاب واسع في حلّ مشاكل دينيَّة (Ibid. col. 311-824) وتآليف في ايَّام الخليقة (Ib. col. 854-1077) . وممَّا وجدناهُ لهُ في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ولا ذكر لهُ في اعمالهِ اليونانيَّة سير جليل خصَّهُ ببوم جمعة الآلام الكبيرة ووصف فيهِ ما قاساهُ السيِّد المسيح منذ اوقفهُ اليهود في بستان الزيتون الى موتهِ عزَّ وجلَّ وقد عمد في كتابة هذا السير الى المزمور الثاني لداود الذي بدؤهُ « لماذا ارتجَّت الامم » فبيَّن انَّ كلام النبي قد تمَّ بحرفهِ في آلام المخلِّص وعرض ذلك على طريقة بليغة كما اعتادها آباء الكنيسة اليونانيَّة. فقصدنا ان نحيي هذا الاثر في مجلَّة المشرق لنفاستهِ. والكتاب الذي اخذنا عنهُ هو مجموع اقوال الآباء الذي مرَّ لنا وصفهُ (في المشرق ٨ : ٤٧١ تحت العدد ٦١) والميمر في الاصل من الصفحة ٢٨٦ الى ٣٠٦. واتَّما التعريب فهو على ما نظن لابي الفضل الانطاكي الذي سبقت ترجمتهُ في المشرق فاثبتناهُ على علَّاتهِ ولم نصلح فيهِ الَّا ما لا يُعبأ بهِ من الاغلاط الظاهرة

(286) ميمر ليوم الجمعة العظيمة

لابينا القديس انسطاسيوس رئيس دير طور سينا المقدّس

على آلام ربّنا وحياته بالجسد وسائر ما يختص به من امور الصلب وفي الطعن على اليهود القاتلي الاله. وهو تفسير (287) المزمور الثاني لداود خاصّة الشاهد بالصلب وغير ذلك

هذا هو إلهنا خالق السماوات والارض ايسوع المسيح الذي اعدّ لنا اليوم الخلاص في وسط الارض (١ عند طلوعه فوق الصليب المحيي في جبل صهيون فصاح صوتاً عالياً وافزع الدنيا باسرها صاح صوتاً شديداً فحرّك الارض وارجفها (٢ صاح فاظلمت الشمس وتزلزلت الدنيا وتفلّقت الصخور. صاح فانفتحت القبور وقام الاموات وارتعب الموت. صاح فهتك الستر وشقّهُ من فوق الى اسفل (٣. صاح صوتاً عالياً فجمع الامم وزعزع المسكونة ومن عليها

انّ الدنيا لمّا علمت انّ إله الآلهة وخالق السماوات والارض ارتفع على الصليب بالجسد في طور صهيون هنالك عرفتهُ ولهُ مجّدت ولهُ سجدت وسبّحت واليه بما انّهُ الإله للهدايا قدّمت. فالشمس والقمر والنجوم والسماوات والملائكة والشاروبيم والسارافيم لهُ تمجد وتقدّس وتسبح. فالسماوات لمّا عاينت ارتجّت. والشمس اذ ابصرت اخفت ضوءها. والقمر عند ما رأى أظلم. والملائكة كلهم بُهتوا. ورؤساء الملائكة حجبوا وجوههم بأجنحتهم. اساسات الدنيا ارتعدت والارض اهتزّت. الجبال والتلال والبحار والانهار بل المسكونة ومن عليها حزنت عند طلوع مخلصنا على الصليب

اليوم قاضي القضاة للقضاء يأتي. اليوم مبدع الحياة للموت يذوق. اليوم الدّيان يتعرّض الى الدين. اليوم اسلم ربنا نفسهُ الى ايدي الخطأة (٤ . اليوم دفع السيد ذاتهُ الى العبيد المنافقين. اليوم اوقفوا بأرضنا قدام قيافا كاحد المجرمين. اليوم بصقوا في وجه إلهنا الذي لا (288) تستطيع الشاروبيم ان تحدق اليه. اليوم هُزئ به من الأئمة. اليوم وضعوا اكليلاً من الشوك على هامة ملك الملوك . اليوم البسوا سخرًا

١) مز ٧٣ : ١٢ ٢) مز ١٧ : ٨، ١٤ ٣) متى ٢٧ : ٥٠-٥٢
٤) متى ٢٦ : ٤٥

البرفير والارجوان ذلك الذي لا تطيق السارافيم ان تلمحهُ بطرفها . اليوم الذي لم يعمل الخطيئة (١ دِينَ من بيلاطوس . اليوم دُفع الى الموت من بموته امات الموت (٢ . اليوم ذُبح الحملُ السماوي

في هذا اليوم عُلق ظلماً المسيح إلهنا على خشبة الصليب فاستحيت لهذا كافَّة الملائكة وخجلت جميع الامم وحزنت . وأمة اليهود افتضحت . الآب من السماء تطلَّع ونظر . الوفٌ لا تحصى من الملائكة نظرت الى الابن كيف اقبل الى موضع القضاء . وقَبِل الدين والعذاب من اجل المؤمنين . ابليس وجنودهُ اليهود خرجوا الى حيث اراد خالق السماوات ان يُدان . اجتمعت ملوك الارض تقاطرت الكهنة صَخَب القوَّاد والامم والخلائق . جبل صهيون اضطرب . مدينة داود أرعدت على ابن داود فهي تحدّد اضراسها وتصرّ باسنانها . قبورها تنفتح واجساد القديسين تخرج منها وتأتي الى صهيون . يدخل ابراهيم الى موضع الجلجلة حيث قدَّم ابنهُ اسحاق الذي رُبط للذبيحة . يدخل يعقوب الى موضع الصليب حيث ظهر لهُ القضاء . يدخل الانبيا . ويمايثون يونان ملقًى في بطن الحوت . يدخل داود ويماين ابن الوعد . يدخل الصديقون ويشعرون في صهيون بجابة عظيمة ورهج شديد . يمايثون الملوك والكهنة والاراكنة والجماعات والسلاح الشاك . يسمعون الصياح العظيم والضجيج والجلبات الكثيرة والعجيج . يشاهدون الرماح والسجن والغضب والترهيب والرواجف (289) والظلمات والمجامع المظلمة المنعقدة لدينونة المسيح . يعاينون بيلاطس وهيرودس حنَّان وقيافا الكتبة والفريسيين اجتمعوا جميعاً على المسيح . فكل هؤلا . اذ قدموا بُهتوا جميعاً وارتجفوا لما عاينوا خالق السماوات والارض مَديناً عليه بالصليب وصاحوا مع داود وقالوا : لِمَ تسجّست الارض والامم وكل السلاطين ولماذا غضبوا وتسلحوا ولماذا تجمَّعوا فتكلَّموا بالباطل قائلين عن المسيح : هذا هو الوارث فهلموا لنقتلهُ ونأخذ ميراثهُ (٣

حقًّا انهم تكلَّموا بالباطل وامتلأت افواههم تجديفاً قالوا : فلنربط الصديق

---

١) رسالة بطرس الاولى ٢ : ٢٢ ويو ٨ : ٤٦ ٢) ١ قور ١٥ : ٥٥ و٢ طيم ١ : ١٠
٣) لوقا ٢٠ : ١٤

لأنهُ ليس بموافق لنـا (١. قالوا: هلموا لنبطل اعياد المسيح من الارض (٢ ونقطع ذكرهُ من الاحيـاء. ولنضع عودًا في طعامهِ ونمحقهُ من وجه الارض (٣. حقًّا يقيناً تكلّموا بالباطل لأنهم قالوا: ان لم يمت المسيح فكافّة امّتنا تهلك وتبيد (٤. تكلموا بالباطل حيث قالوا لبيلاطس: ارفعهُ اصلبهُ علّقهُ وان لم تصلبهُ لست محبًّا لقيصر

حينئذٍ قامت ملوك الارض والسلاطين والاراكنة مع الرؤساء بيلاطس مع هيرودس حنّان مع قيافا كهنتهم وكتّابهم مع الفرّيسيين شهود الزور والظلم جلسوا هم واقاموا في وسط مجمع القضاء ايسوعَ الناصري. جلسوا هم واوقفوا مثل اللص ذاك الذي مدّ السماء وهيّأها مثل الخيمة (٥. جلسوا واقاموا ذاك الذي اقام الجبال بغير اساس (٦. اقاموا خالق السماوات والارض واقفاً وهم جلوس. اقاموا ذلك الذي هيّأ هذه الاودية كلها والبحار وقال للبحر: الى هاهنـا هلمّ وقفْ ولا تخالف (٧. فوقف كما امرهُ (290). اقاموا اسفل مثـل انسان ساقطٍ ذلك الذي يقف بين يديهِ كل الملائكة بزعدة شديدة في السماوات ولهُ تسبح الشاروبيم والسارافيم (٨. ولئن كان المسيح واقفاً اسفل بين يدي بيلاطس كرجل وضيع الّا انهُ جالس فوق العرش مع الآب بما انهُ اله. يُطعم في اسفل على الارض وهو فوق يبعث الرعد والبرق ويُطعم الدنيا ومن عليها. يعطش في اسفل وهو فوق يجود بالمطر ويملأ الدنيا سروراً. يعيا ويتعب في اسفل ومنهُ فوق ينال كلُّ شيء قوتهُ يقبل البصاق في اسفل وهو فوق تسجد لهُ كل القوّات وذوو السلاطين لهُ تخضع

فلذلك اقول لكم يا اخوتي بالروح: عبثاً قامت ملوك الارض والاراكنة واجتمعوا جميعاً على الرب وعلى مسيحهِ. تآمروا على من اجتمعوا وعلى من اتّفقوا وعلى من قامت ملوك الارض وكافّة الشعوب والامم والاراكنة. قل لنا يا داود وأخبرنا: على من اتّفق بنو اسرائيل اليوم وعلى من تآمر سائر اليهود واجتمعوا في صهيون وعلى من تسأحوا في صهيون ولبسوا السلاح الشاكّ وعلى من كثُرت جموعهم وحلفهم واياناتهم الكثيرة واتفاقهم وصياحهم. هات يا داود خاصمْ جمعهم وبيعتهم وسائر امّتهم

---

١) الحكمة ٢: ١٢ ٢) مز ٧٣: ٨ ٣) ارميا ١١: ١٩
٤) يوحنا ١١: ٥٠ ٥) اشيا ٤٠: ٢٢ ٦) مز ١٠٣: ٥
٧) أيوب ٣٨: ١١ ٨) اشيا ٦: ٣

واظهر لهم اعمال الصليب اي صليب المسيح الذي تشاجروا فيه لاتفاقهم وحملهم على الربّ وعلى مسيحه هات واقض وقل: ألطلهم على رجل ضعيف قاموا او هل اتفق كافّة اليهود على رجل خاطئ او على لص

يجيب داود قائلًا: بل على الرب وعلى مسيحه اجتمعت هذه الجموع وعليه تآمروا. فاذا تقول ايها النبي ؟ انهُ واحدٌ هو الذي تجسّد اعني المسيح (291) وواحدٌ هو الذي اتى الى الارض وواحد الذي صُلب إله واحد الذي دين فكيف تسمي اثنين بقولك: على الرب وعلى مسيحه اجتمع اليهود ورؤساؤهم. حقًا قال النبيّ وان كان ذلك ليس كذلك ايها اليهوديّ فعلى من اجتمع الامم وذوو السلاطين ؟ أعلى فرعون او على موسى او على هرون او على اسرائيل ؟ لكنّ الكتاب لا يقول كذلك بل على الرب وعلى مسيحه اجتمعت اليهود وانتشر اراكنة عمالقة اسرائيل. انهُ لم يقل على الرب وعلى اسرائيل او على الرب وعلى موسى. لم يقل الروح القدس كذلك كما قامت الامم والملوك وبنو كنعان على يشوع بن نون وكما قاموا على صموئيل النبيّ وداود قديس الله وكما قامت الامم وبختنصّر واراكنة الكلدانيين واجتمعت واتّفقت على اسرائيل واحرقوا الهيكل الذي لله وخرّبوا التابوت والمسكن والقدس وألواحَ الله وكل مدينة القدس. ولم يقل داود لماذا ارتجّت الامم وملوك الارض تكلّموا بالباطل واتّفقوا جميعاً على الرب وهيكله ولا على الرب وامّته او مقدسه او انبيائه اذ يقول في شأن ذلك: انّ الامم اتت ميراثك ونجسوا هيكل قدسك. وها هو الآن يقول: اجتمعوا على الرب ومسيحه واتّفقوا على خالق السماوات والارض وعلى مسيحه

وحقًا تآمروا على الرب ومسيحه لانّ الذي لا يُكرم الابن لا يكرم الآب ومن على الابن يفتري فقد افترى على الآب والذي يحنق في وجه الابن فللآب قد اهان والذين صلبوا الابن فقد جدّفوا على الآب والذين تسأجوا على الابن فللآب قاتلوا لان مجد الآب والابن واحدٌ والتسبحة واحدة والكرامة واحدة والسيادة واحدة والقوّة واحدة. فحقًا انّهم على الرب (292) وعلى مسيحه اجتمعوا. ولذلك قال المسيح عند القضاء: اني ليس انا وحدي ولكن ابي معي (١ اذ انا في الآب

١) يوحنا ٨: ١٦

والآب فيَّ (١ فاذًا على الرب ومسيحه اجتمع اليهود

فما الذي عملتُهُ بكم يا بني اللعنة وبماذا احزنتكم الستُ لعميانكم ازتُ. أألستُ لصنكم اطلقتُ السمع . الستُ لمقعديكم شددتُ . الستُ لناموسكم حفظت . ألست بالختان ارتضيت . ألستُ للنصح اكلتُ معكم وافصحتُ . ألستُ كما كنتم تفعلون فعلتُ . الست في هيكلكم مثل يهودي صليتُ . فهل تركتُ لكم علة او حجة . او انطلقتُ الى الامم وانا القائل : اني لم آتِ الا الى الغنم الضالة من بني اسرائيل (٢ . فلمَ اذن تآمرتم عليَّ لماذا الزمتموني الخشبة مثل لصّ . ألم تعاينوا الشمس قد اخفت ضوءها عند ما صُلبتُ . ألم تشاهدوا القمر قد اظلم . ألم تبصروا الارض تُرعد وتتحرك . ألم تروا الصخور تتشقق . ألم تنظروا الى القبور تتفتح . ألم تلحظوا ستر الهيكل قد انشقَّ فكيف لم تعتبروا عند ما عاينتم هذه الاشياء في ساعة دينونتي . كيف لم تُرعَد اقدامكم وفرائصكم عند ما عاينتم هذه العجائب كلها . كيف لم تعلموا ولم تفكروا في انكم لإله الحق رفعتم بالجسد على الصليب

فبمثل هذا الكلام يتكلم المسيح على اليهود بوجوه يوم القيامة وعند ذلك يعاينون لمن طعنوا (٣ وبغضبه بوجههم وهو عند ذلك يقول للملائكة : فليُرفع ويُبعَد اسرائيل من الوسط لكي لا يعاين ملك الله الربّ السماوي . اربطوا اليدين والرجلين للذين ربطوا يدي ورجلي واطرحوهم الى جهنم السابعة (٤ كمثل ما صيروني في جبّ مظلم وظلال الموت . مكّنوا الشيطان وجنودهُ من الذين اتبعوا هواه كما مكّنوا مني بيلاطس الوالي فليُدفعوا الى الجحيم مع كل الامم التي نسيت الله . وسيأخذهم الهلع عند اتيان المسيح بمجدهِ ومجد ابيهِ على سحائب السماء ليدين الخلائق عند معاينتهم السماء وهي تُطوى كالقرطاس . عند نظرهم الى الشمس والقمر وهما يحجبان نورهما . عند رؤيتهم النجوم تتساقط مثل الورق والارض تتحرك وتتزلزل والقبور تنفتح والموتى يقومون وقد عُرضت عليهم مصاحف خطاياهم . عند معاينتهم البحر مثل القدر يغلي والانهار مثل النار تجري وقوّات السماء تتزعزع والملائكة

---

١) يو ١١ : ١٠ و١١ ٢) متى ١٥ : ٢٤ ٣) زكريا ١٢ : ١٠

٤) جاء في الاصل : « حاشية انَّ معنى قولهِ السابعة فكأنهُ جعل جهنَّم سبع طبقات على رأي البعض اي الجحيم والهاوية وسَقَر ولظى (293) وجهنَّم والنار وطرطروس »

ينحدرون اجنادًا اجنادًا والوفًا الوفًا وربوات ربوات ويعجُون ويسبحون بين يدي المسيح

فاذا اجتمعت كل الخلائق عُراةً حاملين كل اعمالهم واذا امتثلت كافَّة الامم بين يدي ملك الملوك و إله الآلهة وسجدت كل نفس حيـة بين يديهِ جميع من في السماوات والارض والجحيم فحينئذٍ بغضبهِ يكلِّمهم المسيح وبرجزهِ يُرجف اقدامهم ويهلكهم ويبيدهم وعند ذلك يريهم اماكن المسامير وموضع طعنهم جنبهُ يريهم الحدّ الذي لُطم واليدين والرجلين اللتين سُمرتا واكليل الشوك مع قرع القصبة على الرأس ويقول: اي شيء عملتُ بكم حتى كافيتموني بهذا ماذا اخطأت اليكم الستُ ابرصكم طهرت. ألست لموتاكم اقمت واحييت. الست لمجانينكم شفيتُ ولمخليكم صححت وابرأت. الست للمرأة النزيفة الدم منكم رحمت ورثيت (294) فبالدين الذي دنتم تُدانون

وان اعترض احد من بني اللعنة اي اليهود وانكروا قائلين: انَّا اخذنا انساناً مولودًا من امرأة وكان ساحرًا يخرج الجنّ من الانس يُسمَّى يسوع فأياه صلبنا. فلنسألهم: ولاي سبب اخفت الشمس شعاعها عند الصليب ولم تستر ضوءها عند قتل هابيل وذبحهِ. ولاي سبب لم تنشقّ الصخور عند ما نُشر اشعيا النبي. فلنسأل الهيكل ايضاً: لماذا لم ينشقّ ستره عند قتل آحاب الملك للكهنة. ولنسأل الدنيا لِمَ لَمْ تتحرّك عند قتل اليهود لزخريًا النبي في باطن الهيكل. ولنسأل القبور لاي سبب لم تنفتح عندما قتل شاول الخمسة والثمانين من الكهنة (اوّل الملوك ٢٢: ١٨). ولاي سبب لم تحدث عجائب عند مجيء طيطس واسباسيانوس لمّا قتلا مئة ربوة وعشر ربوات من بني اسرائيل. ولاي سبب لم تحصل رجفةٌ عند ما طُرح الثلثة الفتية في أتون النار ببابل وكيف لم تظلم الشمس عند ما طُرح دانيال في جوف الجبّ وكيف لم ينشقّ ستر الهيكل عند خراب بيت المقدس والهيكل وقدس الاقداس

فلذلك اقول لبني اللعنة: أيها اليهود انكم لستم لرجل صغير صلبتم ولا لنبيّ ولا لمن قد حلّ الناموس ولكن للاله الحقّ ولابن الاله الحقّ وها هوذا داود النبي يقول: انكم على الرب وعلى مسيحهِ تآمرتم اعني بذلك على الآب والابن وذلك لانَّ الآب والابن شيء واحد وها انَّ ابنهُ سليمان الحكيم يبكّتكم ويشهد

اعمالكم فيقول معيّرًا لكم لانكم انتمرتم قائلين (١ : « فلترتبط الصديق لانهُ غير موافق لنا ويخالف اعمالنا جدًّا ويعيّرنا بخطايانا ويقول انهُ ابن العليّ فهو ثقيل في اعيننا فلا يجري على طريقتنا ولا يقبل رأينا ومع هذا فانهُ يجدّف ويقول : انَّ اللهَ ابوهُ وانهُ هو ابن الله (295) ويسمّي الله اباهُ »

فقل لي الآن ايها اليهوديّ ايّ صدّيق نبيًّا كان او غير نبي ممّن قد مضى عليهم الدهر قال : « اني انا ابن الله ». ومن منهم قد ادّعى ذلك ألعلَّهُ ابراهيم او اسحاق او يعقوب او موسى . ألعلَّهُ ايلياس او داود او دانيال لا لعمري ليس احد منهم الّا المسيح الذي اعلن بانهُ ابن الله الحقيقيّ وأثبتُ ذلك من قول سليمان بن داود في شأن المسيح اذ روى قولهم عنهُ : انهُ يكذب على الله فقالوا (٢ : « هلمّوا لننظر ان كان ذلك حقًّا ام لا وان كان هو الصدّيق وابن الله فلينقذهُ من جميع المصائب التي تصيبهُ . فلذلك اعمى الله قلوبهم وعيونهم لئلّا يبصروا باعينهم ». فايُّ شيء يكون أبيَن واوضح من هذه الآيات يا اخوتي عن المسيح . فانَّ هذا الكلام هو الذي كرّروهُ لمّا كان المسيح معلّقًا على الصليب فقالوا : « ان كنتَ ابن الله فانزل من الصليب لانك قلت انك ابن الله ووضعت رجاءك عليهِ فليخلّصك ». وكذلك قال سليمان عن لسانهم : هلمّوا لنعذّبهُ وندينهُ لكيما نعرف غايتهُ ما هي ولنختبر حياتهُ بالموت لنتبيّن ما يكون منهُ ونكشفهُ عارياً على الصليب ولنُعلّيهُ على رؤوس الملا لانّنا قد سمعنا منهُ كلاماً يقولهُ وهو (٣ : « حلّوا هذا الهيكل وانا اقيمهُ في ثلثة ايّام ». ويقول ايضاً سليمان في كلامهِ عنهم (٤ : « ضلّ اهل اللثة فكان خطأً منهم لانَّ عيونهم انطفأت بالخبث ولم يعرفوا عجائب الربّ ولا سرائر الله »

فقل لنا يا سليمان الحكيم ما هو خبث بني اللثة بعد ان قلتَ بالروح عن المسيح انهُ صدّيق وانهُ ابن الله وانهُ عارف بالسرائر وذكرتَ موتهُ وقيامتهُ . فانَّ اباك داود اذ ذكر مجيئهُ الثاني عند اتيانهِ على سحابة السماء قال عنهُ انهُ « سيكلمهم برجزهِ ويبيدهم بغضبهِ ويرجفهم » أفترى هو محقّ (296) أو سيحلُّ باليهود ذلك العذاب لحكمهم على المسيح ؟ فاسمعوا جواب سليمان حيث يقول : حقًّا يقيناً

١) سفر الحكمة الفصل ٢ : ١٨ ٢) فيه ٢ : ١٦-٢٠
٣) يوحنا ٢ : ١٩ ٤) الحكمة ٣ : ٢١-٢٢

سيكون ذلك لانَّ داود ابي تكلَّم بالروح وانا ايضاً بالروح القدس انطق وشهادته هي شهادتي وكلامهُ هو كلامي الذي سمعتموهُ وها.نذا ايضاً اقول: سيعاينون لمن طعنوا (١ ولذلك يضحك الأب منهم والجالس في السماء يستهزئ بهم ويقلقهم من الاساس الى الابد (٢ ويكونون في تعب وعذاب وذكرهم يُمحق وسوف يظهر خطأهم عند دينونة المسيح لهم وتبكيتهِ اياهم باعمالهم السوء.

ولئلَّا يظنَّ اليهود ان سليمان لا يعني بقولهِ هذا اولئك الذين صلبوا المسيح فاسمع كلام هذا الحكيم اذ يُردف قائلًا (٣: «ان الصديق سيقوم ويأتي بالمجد العظيم بين يدي الذين احزنوهُ واسلموهُ ولم يحفظوا كلامهُ ويُبهتوا من مجيئهِ ذلك الرهب الهائل الذي يكون للابرار سلامةً ويقولون فيما بينهم وهم قد ندموا وبهم جزع شديد اذ يتنهَّدون بروح الحزن ويقولون: هذا هو الحقّ اليقين (يعنون بذلك المسيح) الذي كنَّا في القديم اتَّخذناه ضحكة وهزءا والان صار قيامةً لنا وعارًا. ونحن القليلي الامانة ظننَّا ان حياتهُ تكون غبناً وافتراءا وها نحن نراه ابن الله وواقفاً فيما بين الصديقين أُترانا ضللنا طريق الحقّ وعمينا عن ضوء الشمس فكيف كان قولنا على المسيح انَّ بهِ شيطاناً فسلكنا طرقاً عسرة المجاز اما طرق الربّ فلم نعرفها وقد تمادى بنا الكبرياء والافتخار والآن قد مضى ذلك كلهُ

فهذا هو الكلام الذي يتحدث بهِ المتكلمون في المسيح جهلًا عندما يعاينونهُ آتياً ليدين الاحياء والاموات اذ يرون ذلك الوجه الذي ملاوهُ بصاقاً يضيء مثل الشمس (297). اذا عاينوا الفم الذي قبل الخلّ والمرارة ينطق بالحكم العظيم. اذا عاينوا العينين اللتين غطّوهما ليلطموهُ مفتوحتين ينظر بهما اليهم بهيبة اذ كل قوَّة وسلطان ينحني بين يديهِ. اذا عاينوا الرجلين اللتين سمَّروهما يطأان رأس التنين اعني رأس ابليس اللعين وجنوده اللاعين اجمعين

عند ذلك يعاينون الشاروبيم والسارافيم اصحاب الستة الاجنحة الكثيري الاعين وسائر القوّات واجناد الملائكة وقوفاً بفزع ورعدة بين يديهِ اعني بذلك يسوع المسيح الذي كان بزعمهم قد دِينَ من قبلهم بين يدي بيلاطوس الاركون. فلدى

١) زكريا ١٢: ١٠ ٢) مز ٢: ٤ ٣) حكمة ٥: ٢

منظر ذلك الـدّيان ينقطعون ويبيدون ويتلفون ويُمحقون. فويلهم والويل لهم اذ يكلّمهم برجزه ويهلكهم ويحكم باجتياحهم عن وجه الارض وديمومتهم الى آخر الدهر والفاء ناموسهم الذي لم يحفظوهُ ولم يقوموا بهِ ويقول لهم انَّ اليهود لظلتهم عند طلوعي على الصليب انهم صلبوا انساناً ضعيفاً فلذلك كان قولهم باطلاً ولكني انا المسيح قمتُ عليهم ملكاً بموتي

أفلا ترون ايها اليهود القساة القلوب الاشقياء الارواح الحاكي النفوس انَّ داود بقولهِ قد ارتجّت الامم واجتمعت الملوك والاراكنة على الرب وعلى مسيحهِ لم يقصد ابنهُ سليمان بل اصلح الله على يدي سليمان سُننهُ كلها ولم يقم احد من الامم عليهِ. ولو قصد سليمانَ لمّا قال انَّ الربَّ الساكن في السماوات يضحك منهم اي الذين اجتمعوا عليهِ ام على غيرهِ

ثم اين قال الرب لسليمان (١ : « انت ابني وانا اليوم ولدتُك سَلني فاعطيك الامم ميراثك واملكك اقطار الارض (298) ترعاهم بعصاً من حديد. وتسحقهم مثل اواني الفخّار ». فليأت اليهوديّ بحجّة اذا امكنهُ ليثبت انَّ هذا قد قيل عن سليمان. فباطلاً يخدع اليهوديّ نفسهُ وبئس ما ينقّب في الكتب لعلّهُ يجد حجّة وهو بالحقيقة لا يؤمن بالمسيح ولا بالكتب. ولمّا الزموا المسيح الصليوت تحقّقوا انَّ هـذا ليس هو بانسان ولكنهُ خالق السماوات والارض الذي من اجلهِ قيل في الاردن « انت ابني الحبيب الذي بهِ سُررت (٢ » والشاهد في السماء صادق. ويقول الآب في مزمور آخر عن الابن (٣ : انهُ هو الـذي يدعوني ابي وإلهي وحافظي في السلامة ». والابن يدعوه اباً واذا فيدعوهُ اباً باللاهوت وإلهاً بالتجسّد. ولذلك كان يقول لتلاميذه اني صاعد الى ابي وابيكم وإلهي وإلهكم. ولاجل هـذا يقول الآب : « هو يدعوني اباً وإلهاً وصخرة سلامتي وانا صيرتهُ بكراً رفيعاً على سائر ملوك الارض الى دهر الداهرين وكرسيهُ مثل أيام السماء (٤ »

فاذا اذاً يقول اليهودي المجدّف وبماذا يجيب الربَّ الاله حيث يقول : « اصيرهُ بكري » فمعلوم ان سليمان ليس هو بكرهُ ولا داود ايضاً لان داود آخرُ اولاد يسّى

١) مز ٢ : ٧-٩ ٢) متى ٣ : ١٧
٣) مز ٨٨ : ٢٧ ٤) مز ٨٨ : ٢٧-٣٠

وسليمان آخر اولاد داود. ثم كيف يقال ان سليمان حفظ الى دهر الداهرين طريق الربّ واين اعطاه ميراثهُ وائتمنهُ عليهِ وهو تجاوز ناموس الرب لمّا تزوّج الف امرأة من العمونيّات والمؤابيّات والصرونيّات. واين صيّر الرب سنيهِ مثل أيام السماء ومثل الشمس المضيئة الى دهر الداهرين

فباطلًا تزعم اذن أيها اليهودي انَّ هذه النبوَّة جاءت في شأن داود وسليمان وانَّ عنهما تكلّمت الكتب وليس الامر كذلك ولكنَّ داود وسليمان تكلّما عن الهنا يسوع المسيح (299) وفيهِ قيل ما ورد في بقيَّة الانبياء. وانَّما معنى قول الرب للرب « اني صيّرتك بكري الى دهر الداهرين » انهُ اولدهُ منذ الازل فجعلهُ بكرهُ باللاهوت ثم صيّرهُ بكرًا بين الاموات (١ وبكرًا لكل الخلائق (٢ وبكرًا لكل الاخوة (٣. ولذلك قال لهُ ايضاً: « انت ابني وانا اليوم ولدتك » لانَّ يوم الرب لا ابتداء لهُ ولا نهاية. فالابن مولود من الآب ازليًّا وباقنوم البنوَّة ولد في الجسد زمنيًّا من مريم العذراء وظهر على الارض. فلذلك قال ان الآب يعني الى هذا العالم » والآب هو القائل لابنهِ: « سَلني فأُعطيك الامم ميراثاً واملاكك جميع اقاصي الارض

قل ايها المسيح اباك الحبيب ليس بشبهِ العبد بل بشبه الابن. سألهُ ليس كالطالب بل كالسيد والامير. ليس كالغريب بل كالوارث ويعطيك الامم ميراثاً لأنَّ كل ما يُرى وما لا يُرى هو لك. سَل اباك بالروح اعني باللاهوت فيهب لك كل ما اردت. ولانَّ اسرائيل لم يحفظ وصيَّتك وعليك جدَّف ولك صلب فأحلَّ الرجز عليهِ وخذ الامم ملكك. فتلك الامم ستعرفك وتعبدك بدلًا من اسرائيل الذي أبى ان يعرفك ويعرفني. لانَّ الذي لا يكرم الابن لا يوقّر الآب فلذلك اقول لك « أخرج بقيتكَ من بينهم » اعني بذلك هيكلك المقدَّس « اطرد عنك الأمَّة الملعونة وخذ الحرَّة » اعني الكنيسة (٤. ابعد عنك بني اللعنة وخذ الوراثة المباركة. ابعد عنك الأمَّة المرذولة الذين عرَّوك في الجلجلة. افضح الذين فضحوك على الصليب بزعمهم. اغضب وارجز على الذين سقوك الخلّ. بدّد ومزّق الذين مزّقوا ثوبك الارجوان. اربط

١) رؤيا ١: ٥ ٢) كول ١: ١٣
٣) روم ٨: ٢٩ ٤) غلطية ٤: ٣٠

وقيّد الذين ربطوك بالحبال . اذبح جميع الذين طعنوك وجدّفوا عليك وعليَّ مع اراكنتهم . أبعد اسرائيل الذي لم يُرِد ان يُظهر اسمك ولا اسمي وافترى عليك وعليَّ . خذ الامم ميراثك لانك ابني الحبيب فأملكك اقاصي الارض بمجد وجميعُ الامم تخدمك (300) وتحفظ وصاياك بفرح وتهليل ولا يخدمون الهاً غيرك

فانظر ايها اليهودي من اقطار الارض الى اقطارها ومن البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي المسكونة فانَّ جميع الدنيا للمسيح تعبد لهُ تصلي لهُ تسجد واياه تخدم لانهُ انقذ المسكين ممَّن هو اقوى منهُ ورحم البائس اعني آدم وانقذهُ من شرّ عدوّه الالدّ اعني الشيطان فيكون اسمهُ مباركاً الى ابد الدهر ولهُ تعبد جميع الامم وفي كل يوم يقدّسون اسمهُ ويرتفع ويعلو مثل جبل لبنان وتكثر فروعهُ وتباركهُ جميع الامم ويمجدونهُ من المشرق الى المغرب ويملك الى اقاصي الارض ويرعى الشعوب بعصاً من حديد اعني بذلك الصليب المقدّس الذي بقوّته العظيمة ينتصر على الشياطين . واماً اليهود بني اللعنة فانَّهُ يبيدهم ويكسرهم مثل آنية الفخار التي اذ صُبَّ فيها الخلّ الحاذق تتحلّ كذلك ينحلّون بين يديهِ لانهم سقوه الخلّ الحاذق (١ . واماً الفخار فانَّما عنى بهِ حقل البستان الذي اشتروه عند صهيون (٢ ففي ذلك الموضع يكلمهم بجزمٍ ويكسرهم مثل آنية الفخّار . وفي ذلك الموضع يُحقون لانَّهم هناك ذبحوا المسيح

وهم ايضاً يُذبحون كما شهد اليهود وكتّابهم عند ما قتل طيطس منهم مائة الف وبوة وعشر ربوات بعد مصائب المسيح وذلك في البستان ذاتهِ الذي اشتروهُ بثلثين درهماً . فتمَّ الامر على يد ملكين من الروم (اسبسيانوس وطيطس) اللذين قتلا من اليهود الف الف ومائة الف واهرقا دماءهم مثل الماء على وجه الارض من اجل المسيح والشاهد على ذلك تاودوسيوس (٣ الذي كان في ذلك الزمان وهو الذي احصاهم (301) فتمَّ الذي قالوهُ لبيلاطوس عند دينونة المسيح حيث صرخوا : « فليكن

---

١) متى ٢٧ : ٢٤ ٢) متى ٢٧ : ١٠

٣) هذا الاسم مصحّف في الاصل يريد يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي كتب تاريخ الحرب اليهودية وسقوط اورشليم

دمهُ علينا وعلى اولادنا ». وجرى الامر في عهد طيطس واسبسيانوس حيث اكل اليهود اولادهم من الجوع كما شهد تاردوسيوس (كذا)

فان قال اليهودي: ان ذلك لم يتمّ بسبب يسوع المسيح. فأُجيبهُ: كيف نسيتَ ما حدث في يوم الجمعة المقدّسة وما جرى في موضع الجلجلة عند نصبك الصليب. تذكّر انك عبدت في مصر آلهة المصريين فرحمك خالقك وسلّمك من العبودية اعني عبوديّة فرعون وشقّ لك البحر واغرق فرعون وجنودهُ في ذلك البحر وحلّى لك الماء المرّ واستباح عمايق من بين يديك وأمطر لك المنّ والسلوى ثم اتى بك الى جبل حوريب. وهنالك عبدت العجل وقلتَ: هذا إله بني اسرائيل الذي أخرجنا من مصر (١. فمع هذا رحمك خالقك وكتب لك على اللوحين الوصايا وعمل لك الهيكل وتابوت الشهادة وعامود النار الذي كان يضيء لك ليلاً والسحابة تغطيك وتظلّلك نهاراً. وبعد ذلك اغضبت الربّ عدّة مرار كما يقول الكتاب وبعد ان اخرجك موسى من ارض مصر الى الارض المقدّسة واملّك في مواضع الامم وشقّ لك نهر الاردن وطرح اسوار اريحا بين يديك واخضع لك الملوك والمدائن انقلبت الى ان خدمت آلهتهم وذبحتَ بنيك وبناتك للشياطين واهرقت دماء القديسين وضحّيتها لآلهة كنعان. ومع ذلك لم يؤاخذك إلهك باعمالك هذه الشريرة ولم يحطّمك ولم يهدم ناموسك ولم ينزع (302) عنك تابوت الشهادة ولم يأخذ منك الواح الوصايا رجاء أن ترجع. فكان امرُكَ الى ان رجعت شرّاً ممّا كنت عليه وتباعدت من الله

وبعد ذلك بنى لك هيكلاً وظهر لك فيه ودهن فيه ملوكك وكهنتك واقام لك صموئيل نبيّاً ودارد وناثان فانثنيتَ راجعاً وعبدت لفاعور وآلهة الامم وحفرت المذابح وذبحت انبياء الله ورجمتهم فأدّبك قليلاً عند ما مكّن منك القبائل الغريبة وهيّأ لك ناموساً فكفرت وعبدت صنم الذهب. ثم من بعد ذلك دعاك الله واقام لك هيكلاً ثانياً واقام لك كهنةً وانبياء. وعمل لك قوّات اعظم من الأُولى واعطاك الصلح والفرح وذلك مدّة السبعين اسبوعاً التي تنبّأ عنها دانيال (٢ فتمّت في ايّام كهنتك حنّان وقيافا فلم يؤاخذك إلهك وضرب عنك الصفح

---

١) الخروج ٣٢: ٤ ٢) دانيال ٩: ٢٤

ثمَّ اتيتَ اخيرًا الجلجثة ونصبتَ هناك الصليب وعلَّقتَ عليهِ المسيح زاعمًا انهُ انسان وبهِ شيطان وانهُ باسم بعلزبوب يخرج الشياطين وانهُ يريد يبطل ناموسك وسُننك. فعند ذلك فقط اي لمَّا صلبتَ المسيح نزع عنك الفرح وأفقدك الملك وخرَّب مذابحك ومزَّق أمتعتك وانشقَّ ستر قدس اقداسك وهُدم هيكلك وغابت عنك النارة وسكتت الانبياء وبطل منك الكهنوت وانتهت ذبائحك واعيادك. فسبحان خالق الخلائق وإله الآلهة ما اعجب هذا الامر وما اعظمهُ. فيا تُرى من الذي عاين مثل هذا قط او من سمع مثلهُ. ان اسرائيل كان يذبح بنيهِ وبناتهِ للشياطين ويعبد الحجارة والخشب والخنازير والكلاب والبهائم وكل رجس نجس ويذبحون الصدّيقين والانبياء. ويحتقرون مذابح الرب ولم يؤاخذهم الله ولم يطرحهم من وجههِ ولم يُبدهم ولكن هيَّأ لهم مذابح ومظلّات واقام لهم انبياء وملوك وكهنة واعطاهم جبل صهيون والتابوت وسكينة الشهادة ومنحهم كل خير واخضع لهم الامم ولم يطرحهم عن وجههِ (303) الَّا بعد نصبهم الصليب في الجلجثة فعند ذلك فقط بدَّد شملهم وابطل اعيادهم وهدم هيكلهم ونقض مذابحهم وألغى فصحهم ولاشى ملوكهم ومحق كهنتهم وخلاصة القول انهُ لم يترك لهم شيئاً من الخير الَّا افناه

فهات أيُّها اليهودي اعلمني لماذا كان هذا كلهُ وما علَّة ذلك اخبرني لاي سبب احاطت بك كل هذه البلايا من كل ناحية ونُزعت عنك كلّ هذه الخيرات؟ افليس ذلك لانك لم تعرف المسيح الهك فها هوذا المسيح يقول عن لسان ملكك ونبيك للآب (١: « ان اليهود جعلوا في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلًّا فلتكن مائدتهم بين يديهم فخًّا وجزاء وشركًا ». فقول داود « مائدتهم » اراد ذبائحهم التي لعنها الله لانهم اكلوا فصح المسيح مع التلاميذ وبعد ذلك امسكوهُ واتوا بهِ الى قيافا. ولاجل ذلك يقول داود ايضاً (٢: « فلتظلم اعينهم لئلَّا يبصروا » لانهم في ليلة الظلمة دانوا المسيح ضوء الحقّ فانطفأت اعينهم عن نورهِ. وقال اشعيا ايضاً (٣: « انهم يعاينون ولا يبصرون »

فهات أيُّها اليهودي اعلمني ما الذي تعاينهُ ولا تبصرهُ؟ نظرت ان المسيح افناه

---

١) مز ٦٨: ٢٢-٢٥ ٢) مز ٦٨: ٢٤ ٣) اشيا ٦: ٩

الدنيا ولا تقرّ بانّ الامم قد خلصت. تنظر الكنيسة مضيئةً ولا تبصرها بصراً محموداً. تنظر الكنيسة مؤلفةً من جميع الامم وانت مبغضٌ منها ومن خالقها. تنظر الشعوب من مطلع الشمس الى مغربها يعبدون المسيح وانت تجحده فلذلك قال النبيّ (١: « انهم بصراً يبصرون ولا ينظرون فتظلم عيونهم وتنحني ظهورهم » وليس ذلك الى زمن يسير ولكن الى الابد يكونون عبيداً للامم. ثم من بعد ذلك يصبّ عليهم رجزه لانهم بالرجز كانوا يصيحون الى بيلاطوس: « ارفعهُ ارفعهُ اصلبهُ » فلذلك اقول لكم (٢: « فليكن هيكلكم خراباً وما كنكم لا يسكنها ساكن »

فلاي شيء يا نبي الله كانت نبوّتك؟ هات اعلمنا لماذا تنبّأتَ (304) بمثل هذا على اليهود ألعلّ ذلك لاجل خطايا آبائهم او لدم الانبياء الذين قتلوهم او لاجل بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم للشياطين او لانهم عبدوا الحجارة والاوثان؟ كلّا ثم كلّا ليس لاجل ذلك. لانّ هذا كلهُ فعلوهُ ورحمهم الله حتى انهُ لم يبطل ناموسهم عند عبادتهم للعجل ولم يُغنِ ملكهم ولم يخرب هيكلهم ولم يبطل انبياءهم ولم يمحق تابوتهم ولا لاشى فصحهم. ولكن ذلك كلُّه حلّ بهم لمّا فعلوا بالمسيح ما فعلوهُ فصاروا من ثمّ لعنةً لجميع الامم ولهذا قال النبي ايضاً عن لسان المسيح: « زدهم لعنةً على لعنتهم لانهم عملوا بي انا ابنك هذه الاشياء كلها فلا يدخلوا هيكل قدسك الى انقضاء الدنيا لانهم اخرجوني الى خارج مدينتهم وصلبوني فلذلك فَلْتُمحَ اسماؤهم من سفر الحياة لانهم كتبوا على صليبي ما كلّمهم بهِ بيلاطوس فلا تُكتَب اسماؤهم مع الصدّيقين »

فاسمع يا ابن اللعنة كيف يحيط بك البلاء من كل ناحية. اسمع يا مجمع السوء كيف أفضى بك الى هوّة الهلاك ذلك الخلُّ القليل والمرارة التي قدّمتها للمسيح لكيما تعلم انك لم تصلب انساناً بل انما تجاسرتَ بذلك على الاله عالم الخفيّات لانهُ ليس يعلم الخفيّات الّا الله وحدهُ. واماً انّ المسيح يعرف الخفيّات فاسمع قولهُ حيث نبّهك (٣: « انهُ لا تمضي الايّام والزمان القليل حتى يأتي الروم ويأخذون مدينتكم والامانة والملك ». أفتحقق قول المسيح ام لا؟. وقال للنسوة (٤: « انها

١) المز ٦٨: ٢٣ ٢) المز ٦٨: ٢٤ ٣) لوقا ١٩: ٤٣ ٤) لوقا ٢٣: ٣٠

ستأتي أيام يقولون للجبال قفوا واطمرونا » أفتمّ هـذا ام لا في زمن طيطس ولسباسيانوس حيث اكل اليهود اولادهم من الجوع ؟ وقال (١ : ٥ « انهُ سيُنزع منكم كرم الرب ويُدفع الى الامم ليعملوا بهِ ويعطي ثمرةً طيّبة » يعني بذلك انهُ يأخذ الكرم منكم ويدفعهُ الينا . أفصار ذلك ام لا ؟ . وقال لنا نحن المؤمنين بهِ (٢ : « انهم يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب في ملكوت الرب واما انتم بني الملك فتُدفعون الى جهنم النار حيث صرير الاسنان » أفصار الكرم في ايدي الامم ام لا ؟ أو كان دفعكم لهُ بالرغم ام لا ؟ . وقال (٣ (205) : « انهُ سيكون انجيلي هذا في كل الدنيا » افكان ذلك ام لا ؟ . وقال داود النبي في الرسل (٤ : « في كل الارض خرج منطقهم والى اقطار المسكونة انتشر كلامهم » أفظهر ذلك ام لا ؟ . وقال لنا نحن المؤمنين (٥ : « خذوا جسدي ودمي لمغفرة الخطايا » أفقامت كلمتهُ ام لا ؟ . وقال لهيكلنا نحن اعني الكنيسة (٦ : « انَّ ابواب الجحيم لا تقوى عليها » يعني بذلك انَّ جميع الامم وكل الهراطقة لا يقدرون ان يحركوا فيها شيئاً يعني الامانة . أفكان ذلك ام لا . أو ليس الامانة هي قائمة ؟

فانظركم من ملوك واراكنة وسلاطين وكم من امم ومتجبرين وكم حرب ولسان وكم بلاء وامواج وكم زلزلة وبرق وكم من حَيف وظلم ارادوا ان يتسلحوا ويقوموا على كنيسة المسيح . قاتلوها طردوها حاولوا ان يبطلوا ويخربوا ويمحقوا لكنَّهم عجزوا عن ذلك بل محقهم الله وابادهم وافناهم وضرب وجوههم وابطل اعمالهم وكسر جبروتهم بموجب وعد المسيح ربنا الذي قال : « انَّ ابواب الجحيم لا تقوى عليها » لانَّ الله ليس بكاذب

وان كنت ايها اليهودي مقيماً على القحة فاسمع ايضاً قول المسيح (٧ : « انَّ الناموس والانبياء الى يوحنَّا المعمدان تنبأوا » فان طلبت لك نبيًّا من ايام يوحنَّا بن زخريًّا فانك لم تجد لان كلام الهنا يسوع المسيح باقٍ الى الدهر ودهر الداهرين . وقال ايضاً عن هيكلك (٨ « انه لا يبقى فيهِ حجر على حجر » ولكن يدعهُ لك

---

١) متى ٢١ : ٤٣ ٢) لوقا ١٣ : ٢٩ ٣) متى ٨ : ١٢
٤) مز ١٨ : ٥ ٥) متى ٢٦ : ٢٨ ٦) متى ١٦ : ١٨
٧) لوقا ١٦ : ١٦ ٨) لوقا ١٩ : ٤٤

خراباً الى انقضاء الدنيا. افكان حقاً في قوله ام لا ؟. فان كنتم ايها اليهود تسمعون هذه الاشياء وتسكتون فانَّ الحجارة تنطق وتثبت لكم انكم هلكتم يوم اهرقتم دم يسوع الناصري. فلو أُعطي لك ان ترى هيكلك يقوم ثانيةً ببيت المقدس وان تعاين التابوت موضوعاً عليهِ وان تشاهد مجد الله من السماء يأتي ويغطي مذبحك او تنزل النار السماويَّة عليهِ وان يُدهَن فيهِ ملوكك (305) فضد ذلك تستطيع ان تحيي رجاءك. ولكن ان هيكلك صار اصطبلاً ومذوداً للبهائم وتحقَّقَ ان امَّتك صارت الى لاشيْ وهيكلك صار خراباً الى انقضاء الدنيا كما قال المسيح (١ : « هاءنذا اجعل هيكلك خراباً الى آخر الدهور » فليعلم بهذا بنو المعموديَّة ويتَّخذوه سلاحاً مع اليهود بني اللعنة. ولتمسك الكنيسة بهذه الآية على الذين يقاتلونا

واما نحن المؤمنين فلندرس دائماً اسرار آلام ربنا ممجدين إفراط تنازلهِ الينا وشفقتهِ علينا وحبَّهِ لنا وصبرهِ على الآلام لاجلنا وصعودهِ على الصليب لخلاصنا. ولنصلب معهُ ذواتنا متجرِّدين من كافَّة الشهوات والامور الارضيَّة متشبهين بسيدنا المسيح ابن الله الوحيد الذي لهُ ينبغي الملك والمجد والتسبيح مع الآب والروح القدس الى ابد الأدهار آمين

تاريخ الحرير في بلاد الشام

للمسيو غستون دركوشو المحامي بقنصليَّة فرنسة الفخيمة في بيروت (٢

لا مراء في انَّ فينيقية منذ قديم الزمن كادت تحتكر كلَّ الانسجة الثمينة. وكانت الاقمشة الفينيقيَّة تُقدَّم على سواها ليس فقط لحسن نسجها واتقان حياكتها ولكن ايضاً او قل بالاحرى لصبغها بالارجوان او البرفير. وفي تقليد اهل صور انَّ إلههم مَلكَرْت كان اوحى اليهم بسرّ هذا الصبغ الذي كانوا يستخرجونهُ من صدف

١) متى ٢٣ : ٣٨

٢) معرَّب عن مقالة مطوَّلة لجنابهِ نشرها آخراً في مجلة الحرير والانسجة الحريريَّة التي تطبع مرَّةً في الاسبوع في مدينة ليون فسمح لنا ان نقتطف منها ما شئنا لقرَّاء المشرق. (Bulletin des Soies et des Soiries, *Novembre 1911 - Janvier 1912*)

بحري يُدعى بلسان العلم « Murex trunculus » وهو انواع والوانهُ تتراوح بين الازرق الناصع والبنفسجي الضارب الى اللون الوردي القاني وقد افاض بليني في تاريخهِ الطبيعي (ك ٩ ص ٦٠) ثم پولُكس (ص ٤٥ و٤٩) في وصف هذه المادَّة الصبغيَّة وافادوا انَّ اهل صور وصيداء حفظوا سرَّ صناعة الارجوان وضنُّوا باذاعتهِ على غيرهم حتى عهد الرومان

ومنذ القرن السادس قبل المسيح قد عدَّد حزقيال النبي (الفصل ٢٧ من سفرهِ) اصناف الموادّ النسجيَّة عامّاً كانت او منسوجة التي كانت تُباع في اسواق فينيقية فذكر اصواف دمشق البيضاء وبزّ مصر الموشَّى وغارق الركوب لددان الى ان قال لصور (ع ١٦): « وأرام (اي اهل الشام) متَّجرة معكِ في كثرة صنائعكِ وبالبهرمان والارجوان والخزّ والكتَّان والمرجان والياقوت اقامت اسواقكِ ». فقولهُ الخزّ دعاه بالاصل العبراني راموت (רקמה) وقد اختلف المفسرون في معنى هذه اللفظة فشرحوها بالنسيج الثمين وعرَّبوه في الترجمة العربيَّة بالوشي. امَّا الترجمة اللاتينيَّة للقديس ايرونيموس فصرَّحت بذكر الحرير (sericum) او الخزّ وهو المعنى الذي غلَبهُ في ايَّامنا الشرَّاح. وفي ذلك دليل على انَّ بلاد الشام كانت تجهِّز في ذلك الوقت الانسجة الحريريَّة وترسلها الى صور وصيداء. على ان سكان الشام لم يبيعوا ذلك الوشي كاحد محاصيل اقطارهم اذ كانوا يجهلون تماماً اصل الحرير وتركيبهُ وانَّما كانوا يستجلبونهُ بواسطة القوافل من تركستان الصينيَّة المدعوَّة وقتئذٍ بلاد « ميدون » فتأتي بهِ على طريق تدمر. وبقي الفينيقيُّون على دأبهم ذاك الى القرن الحادي عشر بعد المسيح فكان تجارهم يستمدُّون حاجتهم من الحرير من الباعة الصينيين في كنغ تونغ وخان سي فيقطعون الاقطار البعيدة ويدفعون لاهل فارس ضريبةً فادحة

ولمَّا انتشبت الحرب بين مارك مادای والرومان في عهد يستنيان لم يعد التجار يستطيعون المرور في بلاد العجم فبحث احد تجار سوريَّة المسمَّى مايس تيتانوس (Maes Titanus) عن طريق آمن تبلغهُ الى المراكز الصينيَّة ليبتاع منها الحرير فعدل الى طريق الفرات وتوغَّل في بلاد الهند حتى الصين فادرك غايتهُ وعامل الصينيين رأساً. وفي كتب الصينيين انهُ سبق مايس تيتانوس ودخل الصين قبلهُ وفدٌ

آخر كان وجّههُ صاحب الدولة الرومانيّة المدعوّة في كتب الصينيين مملكة تاتسين واقتنى منهـا الحرير وذلك في السنة ١٦٦ للمسيح. واستأنف البعثة غير مرّة ايضاً في السنة ٢٢٦. هذا ما اثبتهُ المسيو برازيه (M^r Boissier) في معجم العاديّات

وكان تجار الشام يسمّون الحرير الذي ينقلونهُ من ممالك الصين « حرير الحاضرة » (Serametropolis) المعروفة بسيغنان فو (Si - gnan - fou). وكان الحرير يأتيهم على ثلاث صور منهُ الخامّ اي الحرير قبل تحليله ونسجه وهم يدعونهُ ميتاكسا (μεταξα) وكان ثمن الليبرة منهُ اي ٥٠٠ غرام يبلغ ١٢٠٠٠ درهم والدرهم وقتئذٍ يساوي من نقودنا ٦٢ سنتيماً. وكان الخامّ اغلى الاصناف قيمة وارفع شأناً وكان الفينيقيون يصبغونهُ بالارجوان الذي يساوي ثقلهُ ثمن الفضة كما افادنا المؤلف تيوفيس وهـذا افضل الارجوان وكانوا يسمّونهُ باسم بلّاتا (βλαττα) واذا تمّ صبغهُ دعوهُ ميتاكسا بلاتا (μεταξαβλαττα) وباعوا الليبرة منهُ حتى ١٦٠,٠٠٠ الى ١٧٠,٠٠٠ درهم

وكان الصينيون يبيعون حريرهم ايضاً عللاً ملفوفاً على مكبّات فكان اهل صور وصيدا يستأجرون العتلة الحاذقين لمدّ تلك الخيوط وتسويتها

وكان تجار الصين يصدرون ايضاً حريرهم بهيئة البسة شتى واثواب مختلفة (ἐθνικα σηρικα) فيتخذونها للابسهم او ينزعون خيوطها لتركيب ملابس غيرها يجعلون لُحمتها حريراً وسداها كتاناً او قطناً. وكان معظم باعة هذه المنسوجات من سوريين او يهود يُحسنون وصف هذه الاثواب الحريريّة فيرفعون قدرها ويبيعونها بمبالغ طائلة

وكان لباعة الحرير (sericarii) في رومية حيّ مخصوص ومخازن تُباع فيها الحرائر المجلوبة من سوريّة والمصبوغة بالارجوان الفينيقي. وأعلمنا سينيكا ان قوماً من السوريين واليهود كانوا يطوفون احياء رومية ليبيعوا منسوجات الخامّ

ولمّا صار الملك في ايدي الامبراطرة البوزنطيين احتكر عمّال الدولة مبيع الحرائر فاصبحت مصابغ الارجوان السوري واكثر مناسجهِ في حوزة الحكومة. وكان يبلغ عملة تلك المعامل حذقاً غريباً. وقد شهد على حسن تلك المنسوجات المؤرخ الشهير تاردوريطس اسقف كورش في ميسرهِ عن العناية الالهية فاخبر ان بعض تلك

الاقمشة الحريرية كانت مطرزة تمثل حياة السيد المسيح واعماله فيلبسها الاشراف على تلك الصورة

وقد وردت في دستور المملكة البوزنطية عدة شرائع تنهى الاهلين عن تقليد الجوائز المنسوجة في المعامل الملكية. ومنذ السنة ٣٦٩ كانت النساء التابعات لبلاط ملك الروم في القسطنطينية يتولين وحدهن عمل الاقمشة المنسوجة بقصب الابريسم المزركشة بالذهب واصدر الامبراطور ارقاديوس سنة ٤٠٦ امرًا بان يُجمع كل ما يوجد في الدولة من الحرير الخام او الحرير المنسوج فيُعطى لمن

ولما صار الملك الى يستنيان أصيبت صناعة الحرير بأزمة شديدة ذكرها المؤرخ بروكوبيوس في تاريخ الحرب الفارسية (Procope, *de Bello Persico*) قال انهُ لما قامت الحرب على ساق بين الروم والعجم لم تعد تستطع القوافل السورية ان تجلب الحرير من بلاد ميدون فأصبحت المعامل الحريرية في القسطنطينية في ضيقة عظيمة لتقص المادة الحريرية فانتهز يستنيان هذه الفرصة لتحديد اسعار الحرير فامر ألّا تُباع الليبرة اكثر من ثمانية دنانير فرأى تجار فينيقية في هذا الامر مجالاً لحقوقهم ولم يعودوا يرضون باستجلاب الخزّ بل اقفل تجار صور وصيداء وارواد وبيروت مخازنهم وهاجروا الى بلاد العجم ولم يبقَ تحت حكم الرومان غير وكلاء المعامل الملكية (Comes largitionum) الذين واصلوا الشغل لانّ اوامر الملك لم تبلغهم وكانوا يبيعون الليبرة من الحرير المصبوغ صبغًا اعتياديًا في معاملهم ٧٢ دينارًا. ومع كلّ ذلك اذ لم تحطّ الحرب عن اوزارها ما لبثت صناعة الحرير ان كسدت لقلة مادتها في ارض الرومان حتى فنيت تمامًا بعد زمن قليل

وبينما كان العموم يظنون ان تجارة الحرير لن تعود الى الحياة بعد موتها اذ حدث امرٌ خطير انعشها واعادها الى زهرها بوقوف الرومان على طريقة استحضار الابريسم ودونك تحرير الخبر

احبّ الملك يستنيان ان يطلع على سرّ الحرير وكيفية صناعته لعلّهُ يتدارك بذلك الخلل الذي لحق مالية الدولة بكساد سوقه فوكل الى راهبين مرسلين من النصارى اصلهما من العجم ان يرحلا الى الصين فيبحثا عن الامر ويتحققا صنع الخزّ

وكان الفينيقيون قبل ذلك ومنهم اليونان والرومان يجهلون حقيقة اصل الحرير

المجلوب من الشرق الاقصى فيظنون انهُ يُستحضر من النبات. قال بلينيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٢٠): انَّ للسار (وهم الصينيون) غابات غنيَّة بنابتها الصوفيَّة فيتزعون ما يجدون على اوراق الاشجار من الزغب الابيض ويرشونهُ بالماء ثم تحلُّ نساؤنا هذا الصوف وينسجنهُ . . . حتى يصير ثوباً ناعماً تلبسهُ السيدات ويتباهين بهِ». ومثلهُ زعم أميان مرقلّان في القرن الرابع حيث قال: «ان اهل الصين ينقعون اوراق اشجارهم مرارًا فيجنون عليها زئبرًا ناعماً جدًّا ينزلونهُ وهو الحرير»

تلك كانت مزاعم القدماء في الحرير حتى عاد المرسلان سنة ٥٥٢ الى القسطنطينية كما تناقلهُ تقليد المؤرخين واعلما الامبراطور يستنيان بحقيقة الخبر واطلعاهُ على فيالج (شرانق) دود الحرير وكشفا لهُ السرَّ الذي كان الصينيون يتفانون على حفظهِ. وكان الراهبان جعلا تلك الشرانق في عصاة مجوَّفة بحيث لم ينتبه احد من اهل الصين الى عملهما. وقد اخبر المؤرخ بروكوبيوس انَّ الراهبين استجلبا تلك الفيالج من بلد يدعوه سيرندا الموافق على ما يُظن لبلاد خُوتن (Khoten) في آسية المتوسطة. ويؤيد ذلك ما نقلهُ بعض كتبة الصين ان صناعة الحرير كانت انتشرت في تلك المقاطعات منذ زمن مديد

وعُرف دود الحرير اوَّلًا باسم «النملة البربريَّة» كما دعاه القديس بولس المعروف بالسكيتي في وصفهِ كنيسة آجيا صوفيا فقال عن ستر مذبحها انهُ من نسيج «النملة البربريَّة»

واذ كانت بلاد الشام قد اشتهرت سابقاً باستجلاب الحرير وصبغهِ اراد يستنيان ان تُنقل اليها دود الخزّ فتربّى هناك لاسيما ان التوت غذاء تلك الحشرات يكثر عندهم الى ان يطعموا ورقهُ للحيوان. فما وصل الدود الى الشام حتى اقبل السوريون على تربيتهِ بكل رغبة فأُنشئت في بيروت اوَّلًا ثم في حمص وحماة معامل حريريَّة راجت اسواقها

فلمَّا علم يُستنيان بما نالتهُ صناعة الحرير من النجاح حدا بهِ الطمع لتوفير ماليَّة الدولة الى ان يحتكر العمل فامر انَّ معامل الحرير تكون كلها مال الدولة وان لا يُسمح بنسجهِ ولا بصبغهِ الَّا في معامل الحكومة. وزاد على ذلك امرًا آخر لكلّ باعة الحرير بان يبيعوا لتلك المعامل وحدها شرانقهم باسعار محدودة وانَّ من يتجاوز تلك الاوامر يُقضى عليهِ قضاء مجرم جانٍ على السلطان عينهِ فيُحكم عليهِ باشدّ العقوبات.

فكانت تلك الاحكام ضربةً كادت تقضي على صناعة الحرير في انحاء الشام حتى ان العرب لما فتحوا سورية وجدوا معامل الحرير في بيروت وصيداء وارواد ليس الّا

وبقيت تلك الصناعة خاملة حتى عهد بني اميّة الذين انهضوها من خمولها. قيل انَّ معاوية اوّل ملوكهم انشأ سنة ٦٥٥ في قصره المسمى بالخضراء في دمشق معملاً للحرير فعُرفت منسوجاتهُ بالطُرُز وشاعت في كل الاقطار وكان الخلفاء يهدونها لعمّالهم. وما لبثت صور وحلب ان انتسا بدمشق وفتحتا معامل نفقت اسواق حريرها حتى غلبت طُرُزهما في عهد بني عباس على طرز دمشق. وكان تجار الفرنج من مدينة أمالفي في ايطالية يتردَّدون اليها وينقلون منها انسجة الحرير الى الاسواق الاوربيَّة ويفضلونها على حرائر دمشق لقرب صور من البحر ولوقوع حلب على طريق القوافل ومما رواهُ الراهب دي سان غال انَّ حاشية الامبراطور شرلمان ملك فرنسة كانوا يزدهون بملابس الحرير ولا يرضون بغيرها. وكان الامبراطور يستاء من عمامهم ويحضُّهم على تفضيل ثياب أُخرى من الكتان ارخص ثمناً كما كان يلبس هو على زي الفرنج فلم يقنعوا بقولهِ. ومن ثم دعاهم في احد الأيام الباردة المطرة الى الصيد فعادوا عند المساء وثيابهم مبلولة والبرد قد اخذ منهم كل مأخذ فادخلهم في غرفة أُوقدت فيها نار مشبوبة ليجففوا فأثّرت النار في ثيابهم وجعّدتها وشقّقتها فكان عملهُ عبرةً لهم رادعة

وكانت اسواق الحرير في حلب ودمشق في القرون الوسطى كثيرة الرواج فيتقاطر اليها تجار الفرنج في كل سنة فيتسوَّقون منها ضروب الانسجة الحريريَّة المصبوغة بالارجوان ويعودون الى بلادهم بالبرود الثمينة والفُرُش والمصادغ والثياب المطرَّزة الغالية الثمن

وبقيت الحرائر السوريَّة في رواجها في القرن التاسع والعاشر دون ان يضايق ارباب الامر على اصحابها مع علمهم بارباحها الى ان تملَّك الصليبيُّون على فلسطين وسوريَّة وقد وردت في شرائع دولتهم المعروفة بمجالس اورشليم (Assises de Jérusalem) عدَّة قوانين في بيع الحرير منعاً لتقليدهِ وتزويرهِ ومما فُرض على الباعة ان يعرضوا منسوجاتهم قبل صبغها على عمّال معلومين ليفحصوها ويتحقّقوا اوزانها وما يدخلها من القطن وغير موادّ غريبة. فكانت هذه القوانين المملوَّة حكمةً تزيد ثقة

الزبائن في حُسن المنسوجات الشاميَّة فعمَّت شهرتها انحاء العمور كما يشهد على ذلك كرستيان من طروا (Chrestien de Troyes) في احدى رواياته حيث ذكر حرائر انطاكية. وكذلك شهد على حسنها الادريسي فقال: « ويُعمل بانطاكية من الثياب المصمتة الجياد والعتابي والدستواي (ويروى الدستري) والاصبهاني وما شاكلها ». وكانت انطاكية وطرسوس تجهزان ايضاً ثياب القصب المزركشة بخيوط الفضة والذهب وكثر استعمالها في اوربَّة لحلل الكهنوت وحليّ الكنائس. وتشهد على ذلك قوائم اثاث البيع الثمينة في القرون المتوسطة فكثيراً ما تجد بينها قطع حرير انطاكية والحلل المنسوجة بالقصب المطرَّزة بالديباج الانطاكي الرفيعة القيمة ذات الالوان الزاهية والتصاوير الرائعة من نباتات وطيور وعروق ذُكر بعضها في قائمة حليّ كنيسة مار بولس في لندن سنة ١٢٩٦

وذكر الشريف الادريسي معامل دمشق ايضاً مثنياً عليها فقال: « ومصانعها في كل ذلك عجيبة تُضاهي ديباجتُها بديعَ ديباجة الروم وتقارب ثياب دستوا (ويروى دستر) وتنافس اعمال اصبهان وتشفُّ على اعمال طُرز نيسابور من جايل ثياب الحرير المُصمتة وبدائع ثياب تنيس وقد احتوت طرُزها على اذانين من اعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمَّة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال ». وتنيس هذه التي ذكرها كانت ذائعة الشهرة بديباجها المعروف بابي قلمون كان طرازه يتلوَّن بألوان شتى فتمكَّن اهل دمشق من صنعه كاهل تنيس كما انهم بعد ذلك بقليل احسنوا تقليد الديباج الموصلي والبغدادي

وكانت معامل صور وعكا وطرابلس تتسابق في حسن نساجة الاطلس والاقمشة الحريريَّة المطرَّزة بسُتَّة اسلاك. واختصَّت طرابلس بالكرَمسوت المسوَّج بالوانه

وكان اهل سوريَّة يعتنُون لتربية دود القزّ بزراعة شجر التوت وقد دعاهُ ابن العوَّام من كتَّبة القرن الثاني عشر في كتاب الفلاحة بالفرصاد او توت الابريسم. وكانت النساء مذ ذاك الحين يُعنَين بتربية الدود وتغذيته وعلفه وقطف الشرانق

وبقيت صناعة الحرير زاهية بعد ذلك الى عهد الدولة العثمانية وترى في دمشق فوق مشهد صلاح الدين روايتين من الحرير بديعتين نُسجتا في القرن الخامس عشر. وفي القرن السادس عشر شهد كاتبان من المرسلين على انَّ مدينة حلب كانت تجاري

مدينة ليون بنسج حائرها ومثلها دمشق الّا انَّ تربيـة دود القز كان منحصرًا في بيروت وصيداء وطرابلس (لهُ بقيَّة)

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع) .

ثم ان الباشا بعد قتله علي اغا في ذلك النهار نزل ودار البلد جميعها متخفي بزي دالاتي . واشهر النداء بالأمن والأمان وبعد يومين صار مناداة بكامل البلد ان بعد ثلاثة ايام كل بغدادي يوجد بالشام يُقتل . وهذه جاءت من اعظم المحن على البغاددة التجار المتوطنين وصاروا في حيرة كليَّة وقدَّموا من ترجًا فيهم وما صـار افادة . والتزموا يسافروا للسواحل وخلافها . ومنهم تخبوا بالشام . وكان عسكر المغاربة وغيرهم يكمنون بالطرقات وكل من وجدوه هاربًا يعرّوهُ وقُتل جملة انفار من حرافيش (١ البغاددة الذين كانوا بالقلعة . فانعرض للباشا عن تعدي العسكر فامر لروسائهم ان يجمعوا ناسهم وينعوهم من الاذى وبعد ايام قليلة تهادنت الامور وراق خاطر الوزير وبقيوا بالشام مثل عادتهم

ثم ان الوزير خلع عبد العزيز آغا القامـة وراقت احوال الشام وكان الناس في وجل (خوف) من نهاية مادة القلعة من بعد حدوث مظالم فما حصل من ذلك شيء

ثم بعد ايام قليلة حضر معتمد من والي عكا بيده فرمان بتحصيل الف وثمانماية كيس من والي الشام وذلك عن معروف مدة اشهر انصرف عن يد علي اغا المقتول للعساكر وهي مال سليمان باشا . فاستقام (اقام) المعتمد اياماً بالشام وصدر مراجعات واخيرًا انتهى الحال على شيء يكون

ثم ثاني يوم من ولاية السيد سليمان باشا صار طاعون بالشام وبرّها سنتين اي سنة

(١ الحرقوش الصعلوك من اسافل الناس

الف ومايتين وثمانية وعشرون (١٨١٣ م) وتسعة وعشرون وكان شديداً يبالغوا انهُ مات ربع البلد

وفي سنة ثمانية وعشرون (160٢) توفى بطرك الروم انتاميوس في تموز بالطاعون او بحمى وبائيَّة. واستقام الباشا حاكماً بالشام اربعة سنين وكسور (وبعض سنة) وفي اواخر حكمهِ اصطلح طريق الحج. ومحمد علي والي مصر بواسطة ولدهِ ابراهيم باشا ظفر في ابن مسعود الوهابي. وبعد محاربتهِ لهُ أيام كثيرة حاصرهُ بالدرعيَّة مقرّ حكمهِ وبالحيلة مسكهُ حيًّا وارسلهُ لابيهِ لمصر. والمذكور ارسلهُ لاسلامبول والسلطان قطع عنقهُ وريَّح الناس من شرهِ وتوجه سليمان باشا بالحاج وما صار توفيق من شي.

ثم انهُ في السنة الرابعة من حكمهِ ظهر بهِ مرض سيداوي (سويدا.) وصار خلل في عقلهِ احياناً. وكان عندهُ ابراهيم باشا شراقة ومصطفى اغا وهؤلاء كانوا قساة ظلمة يعملون ما يريدون والباشا نظراً للحال الذي هو بهِ اقتصر (امتنع) عن كل تدبير بالاحكام. وارسل اعراض للدولة يستعفي من الحكم وانهُ لا يقدر يتوجه بالحاج فالدولة ما قبلت عذرهُ بل الزموهُ يتوجه بالحاج. وتوجه وهو مريض وبحال الكرب وبرجتهِ صادفهُ اعراض في جسمهِ ردية ومات بالطريق ودفنوه بالرمل قريب مدن (مدائن) صالح الخراب. ومسك الحاج ابرهيم باشا

وحينما وصل خبر للدولة بوفاة الباشا ارسلوا وكالة للشام الى سليمان باشا والي صيدا وحينما بلغ بالسلامة الحاج للشام ارسل المومى اليهِ قبض على ابرهيم باشا المذكور ومصطفى اغا الذي كان متسلماً واخذهم لعكا وبوصولهم قطع اعناقهم وارسلهم للدولة وما ظهر ذنبهم على الحقيقة . ثم شاع الخبر بولاية علي باشا يدبر الاحكام لحين حضوره للشام

﴿ تولي علي باشا ﴾ فحضر للشام ومعهُ زينيل اغا الكردي حاشه (قبض عليهِ) في حماة (اذ) كان هارباً. وهذا الباشا (كان) شجيعاً مهاباً وصاحب حركات. وكان بهذهِ السنة غلاء. ووجود الحنطة عزيز أخفوها الخزّانة فصار يفتش ويفحص وعمل (فرض) شيئاً معلوماً على اصحاب (161٢) الحوانيت والقرايا ومن سطوتهِ انوجد القمح وانفرجت الناس

ثم بعد ايام قتل زينيل اغا وسقا احمد واظهر لهم ذنوب انهم خازنين حنطة وغير

ذلك ايضاً . وكان سقا احمد بوقتهِ متعين عند الباشا وزينيل اغا كان فالت بالبلد ولكن عليهِ غفر (خفراء) خفيةً . وقبل قتلهم بيومين كان اظهر لهم ميلاً من نحوهم ونبه على زينيل اغا انهُ يلبسهُ درجي بالحاج فاحضرهم قدّامهُ حصة (نحو) الظهر من تسعة وعشرين شهر حزيران وكانوا مطمأنين منهُ ومسرورين بامل يلبسوا أخلاع (خِلَع) فاخرة . فوقفوا امامهُ بالقاعة وصار يحكي معهم ويوبخهم على خزنهم القمح . ثم اتصل الكلام . الظاهر اعطوا جواب وقدّموا اعذارًا . حينئذٍ نفر فيهم وكان بقصد منهُ ثم شتمهم وامر بقتلهم قدامهُ فصارت القواصه والجوخدارية يضربوهم بالنُجق (١ والسيوف بحق فقطعوهم ودمهم انطرش على الفرش . ثم ربطوا ارجلهم بحبل وجروهم لميدان السرايا . وحصل وهم (خوف) عند الناس

ثم بعدهُ صار مناداة بتسعير اللحم وخلافه . وكان المتسلم ينزل يدور مختفياً . فوجدوا واحدًا شاوي لحماً فسألهُ كيف اشتريتهُ . فاخبرهُ بالحقيقة وهو زيادة عن التحديد شيء جزئي . فطلب منهُ محل دكان اللحم واسمهُ فنظر خادم اللحام فاخرجهُ من الدكان . وسأله بكم بعت اللحم لهذا فجاوبهُ : انني انا خادم ومعلمي باع . وبالحال قطع عنقهُ وهكذا عمل بغيرهِ . وكان الحال مخوفاً جدًا والناضي تعجب من هذا الافتراء . وارسل نائبهُ لعند الباشا يلومهُ على قتل الخادم المذكور وهذا شيء منافي الشرايع والطرايق . ومن وقتهِ ارتفع التشديد بالامور

ثمَّ انَّ الباشا اخذ اشياء زوايد من وكيل الافرنج بالقدس وكذلك من الروم والارمن غير المعتاد . فبعد شهرين حضر معتمد فرنساوي من اسلامبول ومعهُ فرمان بان يدفع الباشا ما اخذهُ زايدًا من الافرنج وقبضهُ المعتمد من الباشا حالاً ذهب عين يبلغ خمسة وستون الف قرش وحيث (161 ٢) قبضهُ الباشا ذهب عجر (٢ فما رضي المعتمد يقبض معاملة دارجة بل ذهب عين . واحكى مع الباشا كلام عالي وتألم منهُ جدًا

ثم بعد حضور الحاج شاع خبر عزلهِ من الشام . وجاء المنصب الى صالح باشا المسمى الكوسا وكان ذلك في ابتداء سنة الف ومايتين واثنين وثلاثين (١٨١٦م) وتولى على باشا سنة واحدة فقط

١) الاسهم المريشة ٢) ذهب العجر يسمّى المجمر في اللغة الدارجة

﴿ تولي صالح باشا الكوسا ﴾ فحضر منهُ إعلام وأقام متسلماً نائباً عنهُ لحضورهِ . وفي شهر ربيع الثاني حضر للشام وكان عادلاً حليماً فهيماً واستقام نحو سنتين وينيف والبلاد رايقة . اغا صار حركة خفيفة ومخالفة من عرب فليحان . فارسل لهم حمان اغا المغاربة وفارس اغا الدلاتية وهواره (١ وقصدوا محاربة العرب . فمن خباثتهم تحصنوا في وادي اللجاه . فعسكر العسلي مغفلين لا يعلمون حال قوّة اللجاه . فدخلوا للوادي . فداورهم العرب وقتلوهم . وما سلم منهم الّا القليل . والاغاوات المذكورين قُتلوا وراح عسكر جابوهم من الوادي للمزيريب ودفنوهم هناك

ثم ان الباشا قتل طالب ابن محمد عقيل من جرابجة الميدان . وسببهُ ان هذا الرجل غني واسمهُ مفهوم ففي زمان حكم سليمان باشا والي صيدا بالشام في سنة الف ومايتين وخمسة وعشرون (١٨١٠ م) وجد طالب عقيل مخبأة في بيته بالقاعة انشهر عليها بعلامات مخفيَّة . فوجد خابية ممتلية بذهب مصري محمودي ابو نقطة (٢ كان دافنها ابوه . فبلغ كميتها نحو الف كيس على حساب تسعير الذهب ثمانية غروش ونصف بوقتهِ . فلما شاع خبر ذلك قصد سليمان باشا يضبطها تماماً . ولكن حيث ان الباشا صار نسيب لبيت عقيل كان بالسابق بعد وفاة الجزّار تزوج اخت طالب المذكور وهو ربّى طالب عنده بعد ابوه وكان صغيراً فصار يتوسل للباشا يخلي لهُ المال فقال : اذا ابقيتُ لك هذا المال ماذا تعمل فيه . فقال لهُ : اشتري بساتين واعمر املاك واشتي اراضي . فقال لهُ الباشا : ان كنت تعمل هكذا تقوي (كثير) مناسب فترك (162r) له المال واغا وكّل عليهِ ناظراً . ولكن طالب ما احتاج لذلك . وباحتال صرف الذهب بالوزن على الصياغ (الصاغة) وخلافهم . وصار ينشي رزقاً . ومن الجملة عمّر قاعة نسا . بالميدان وحمام . اشترى بساتين ورجعت دولة ابوه نظير ما كانت . ولكن هذا طالب تداخلهُ الكبر والاعجاب في نفسهِ وبعد ما انعزل سليمان صار يتداخل مع الحكام . واخيراً لبس حكى (٣ في باب اغا الانكجارية ويقطع ويمضي موادّ (قضايا) وطول النهار بالسرايا . والمقصود لاجل العظمة

---

١) الهوارة الذين يمشون قدام العسكر

٢) جنس عملة قديمة

٣) هكذا . وربّما كانت حاكم اي جعل نفسه حاكماً

والجاه. وحينما يركب للسرايا ومن السرايا لبيته معهُ سياس وخدّام جمهور

ثم في ايام صالح هذا فاغا الانكجارية تغلظ على اثنين من جماعته وحبسهم عندهُ حسب العادة. فبلغ طالب المذكور ما هان عليهِ. فتوجه لعند الآغا وترجاه يطلقهم فما رضي فكرَّر عليهِ ذلك فما قبل يطلقهم. فانحنق منهُ طالب وقام على حمية (غضب) من عند الآغا وخلع باب الحبس واطلق المحبوسين. فلما بلغ الآغا هذه الجسارة وكان حصة العصر في شهر رمضان ركب وتوجه للسرايا واشتكى للباشا على طالب. فتخلق الباشا والباين حصل التدبير بقتل المذكور ليلاً. فبعد المغرب حضر طالب للسرايا حسب عادته. وفي الساعة الرابعة حين بطلت الاحكام قصد المذكور يتوجه لبيتهِ فحاشهُ بعض القواصه في اوضة. وبعد فروغ السرايا من الناس اطلعوه من دار المتسلم وخنقوهُ قدام اوضة الصيارف. وبعدهُ سحبوهُ للدرويشية ارموه قدام الجامع. وثاني يوم غسارهُ وقبروهُ ومضى امره

وبهذه السنة قُتل ملا اسمعيل المشهور في حماة ذبحهُ المتسلم بوجود محاربته العرب. وكسره العرب واشتبه عليهِ ان ملا اسمعيل مطابق معهم فعمل مداورة عليهِ وقتلهُ بالديوان. واستقام الباشا حاكما سنتين وارتاحت الناس في ايامهِ. وكان عادلا جداً وانعزل وجاء المنصب الى سليمان باشا في سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين (١٨١٨ م)

﴿ تولي سليمان باشا ﴾ فارسل متسلماً بامر الدولة صالح اغا. وبعد ايام حضر الباشا وكان (162٠) عادلاً واتّا محبّ المال

وبهذه السنة تحرك الروم لاضطهاد الكاثوليك واتصاوا بالرداوة بالسنة الماضية في حلب وضرُّوا الطائفة بمالهم ودمهم. ثم ان البطرك سار وفيم ارسل المطران زخريا الى صيدا يتحارش بالكاثوليك الذين يصلّوا في كنيسة واحدة هم والروم. وحصل مشاجرات كثيرة بين المطران والطايفة وانعرضت على عبدالله باشا. ومن كون اغلب الكتبة في عكا وصيدا وصور وبيروت كاثوليك فالباشا وحايم اليهودي مالوا جهة الطايفة ومن ذلك طمعوا بالمطران. واحكى (اي الباشا) معهُ كلاماً قاسياً نظراً للتعدي الصاير منهُ والتزم ان يخرج من صيدا ممتلي غضباً وحزناً. واعرض للبطريرك شيئاً صار وشيئاً ما صار فانحنق جداً. وهذا البطرك من طبعهِ يحبّ الاذى والضرر

وممّوض ذلك بالتقشف والصيامات العازمة . حتى في صيام الكبير يقولوا انهُ لا يأكل طعام بزيت . فهذا كتب للمجمع في اسلامبول طعن وشكوى بطايفة الكاثوليك وينهض همتهم في اخراج خطّ شريف في اضرار الكاثوليك بالشام ويتبعها باقي المحلّات . وانهُ يستعبد الجميع ويكونوا بطاعتهِ والصلاة معهُ والّا فيدمرهم للنهاية . وتوجه بهذه الرسالة المطران زخريا المذكور . فقبل بلوغهُ لاسلامبول غرق بالبحر وبجهدٍ كلّي حتى اخرجوهُ سالمًا . وما اعتبر فوصل لعند العلماء الاتقياء . وبالحال باشروا في اوامر عالية والنصّ نظير ادّعاهم الفاسد . وحضر المطران للشام وبعد أيام قليلة اعرضوا الاوامر على سليمان باشا وابتدأت الشرور والمخاصمات بين الطايفة والبطرك وجماعتهِ ايضاً . والتزمت الطايفة (١ تقدّم مالًا كثيرًا لردّ الضرر عنهم . واقتضى يعرضوا امرهم للشرع الشريف وحصلوا على بعض شيء يرتّجهم . ثم صار ديوان بحضور القاضي والافندية عند الوزير في رمضان بالليل . وحضر البطرك وبعض من جماعتهِ وحضر وجوه طايفة الكاثوليك . وادعى البطرك بما اراد ثم بعد قراءة الفرمان قدمت الطايفة فتاوي وقرروا (163r) تعدي الروم وحجزهم الكنيسة حيث انها للطايفة عمومًا وحصل مراجعات ومدافعات كثيرة بين البطرك والطايفة . اخيرًا مال القاضي لجهة الكاثوليك بوجه الحقّ واظهر للبطرك بانهُ متعدي واعراضهُ الدولة فهو بغيا (احتيال) منهُ . ثم مضت الحصة فصدر الامر بصرف الديوان وانهُ الليلة المقبلة يصير ديوان وتنخصم هذه المادة . فذهب (ابناء) الطايفة مسرورين والبطرك وجماعتهُ مكروبين

ثم ان البطرك تموّق بالسرايا برأي جماعتهِ الاردنيا . ومنهم ارواس الذين راحوا لعند صالح اغا الذي كان متسلماً . وبعد حضور الباشا ترك الخدمة واستقام في بيت ينتظر سفر الحاج يحجّ ويرجع لبلده . فهؤلاء الاروام بوطلوا المذكور وانهُ يكون وسيط في امر البطرك . واستعقدوا في خمسين الف غرش خدمة (تقدمة) للوزير على يد المذكور بحيث يتأيد (ينتصر) البطرك وتنفذ اوامر الدولة وتتخذل الكاثوليك . وتدبروا واياه على عمل طريقة يتعذروا بها (يهانون بها) ظاهرًا وهو انهم في مرورهم بسوق الاروام اي البطرك وجماعتهُ مزقوا صوف البطرك وكسروا العكاز وشرمطوا

١) اي طائفة الروم الكاثوليك

اللاطية وعملوا تمام الحيلة وما احد درى ولا لحظ من الطايفة (١ عن الملعوب الذي عملوه . ولا فكروا الّا انهم في الليلة المقبلة ينتصروا على البطرك ويحصلوا على راحتهم

فثاني يوم راح صالح اغا لعند الباشا وافهمهُ عن خدمة البطرك . ثم اعرض لهُ عن تعدي الكاثوليك وانهم بالامس وهم ذاهبين مَع البطرك وجماعته وحيث انهم بالعدد اكثر من الروم فقاموا على البطرك وشرمطوا ثوبهُ وكسروا عكازهُ وبهدلوه وشتموه وصار ضرب ايضاً لجماعته . وكل ذلك صدر من البغضة والرداوة الكلية . لمّا سمع الباشا بما صار غضب ومسك غيظهُ الى المساء ميعاد عمل الديوان . فالطايفة بعد غروب الشمس مشيوا للسرايا بقلب قوي مفكرين ينتصروا ويغلبوا الروم . وذهب اناساً كثيرين بقصد الفرجة (163v) وتنظر السرايا وما يليها وقهوة الدرويشيَّة ممتلين نصارى لان ما بقي في بيوتهم غير القليل . والوجوه ينتظروا القاضي والبطرك . فما بان احد وهم متعجبين من ابطا حضورهم والّا صدر الامر بغتة في مسك الطايفة جميعاً اي الكاثوليك وحبسوهم بالسرايا . ومن كثرتهم حبسوا اناس بالدوالك وايضاً في اوض الدفكجيه . وانفردت القواصة والجوخدارية لحارة النصارى يمسكوا كل نصراني يقع بيدهم : كاثوليك سريان ارمن روم . ولكن الروم جاءهم نذير فاختفوا . وكان تلك الليلة في ثلاثة وعشرين حزيران ليلة مولد يوحنّا المعمدان و كان حرّ شديدٌ حتى البعض من المحبوسين كادوا يموتون من الحرّ لو ما يخرجوهم . وكانت ليلة مهولة مخيفة مفزعة وما احد عارف السبب الموجب لهذا القصاص المريع

ثم ثاني يوم الجمعة بعد مجي الوزير من الصلاة صدر امر بضرب العصي لوجوه الطائفة . فانضرب منهم اربعة انفار وجماعة البطرك واقفين بالسرايا يتفرجوا عليهم . والبعض من الطايفة المتكلمين برطلوا ببلغ غرش حتى لا ينضربوا . وبعد ذلك تحقق لهم كل شي صار والتزموا يقدموا خدمة وافرة للوزير لكي يترفّق بحالهم . وبواسطة جيدة استمالوا رضى الوزير . ولكن مما عاد امكنهُ الوزير يترك خاطر البطرك للنهاية . بالاخص تلك الليلة لبسهُ فروة وارسلهُ بعراضة من جماعته . وتنظر زلاغيط النساء والضوجة في حارة الروم بنوع زائد الوصف حيث انهُ قبض الوزير الف غرش غير الكلف البرانية . وبالنتيجة ان الباشا اطلق المحبوسين واعطاهم

(١ اي طائفة الروم الكاثوليك

امان . والبطرك ليس لهُ قارش (مخالطة) معهم واستكنت (سكنت) الامور نحو ستة شهور

وفي ثامن يوم من كانون الثاني امسكت كهنة الكاثوليك . كبسوا البيوت بالليل ونصب جماعة الروم سلالم ونزلوا كل مكان بهِ كاهن . والذين امسكوا اربعة كهنة (1642) والباقي ما وقدروا بيدهم . وثاني يوم سفَّروهم لبيروت فوصلوا للديماس ما قدروا ينفدوا بهم من الثلوج والامطار . وايضاً صار احتساب من البطرك (اي خاف البطرك) ان اهل الجبل في مرورهم لبيروت يخلصوهم من العسكر . فوجعوهم للشام واخذوهم الى طرابلس عن طريق حمص وبوصولهم لطرابلس ارسلوهم الى ارواد حسب الامر . والذي انفهم ان البطرك كتب لاسلامبول بما صار وعن ترك الباشا هذه المادَّة وانهُ ما استفاد شيئاً بهذا الجهاد . فبطرك اسلامبول اخرج مكتوب من الوزير الاعظم الى الباشا وبهِ يتعتب عليهِ من الفتور الصادر منهُ ويلزمهُ ان يتمم الامر حسب الاوامر الصادره لهُ ويلج عليهِ بذلك فاقتضى ان ينفي الكهنة

ثم انهُ صدر امر ان كهنة الافرنج لا تقارش (لا يخاطبون) الكاثوليك في امور الديانة ولا غيرها . وكذلك لباقي كهنة الطوايف موارنة سريان ارمن لا يدخلوا بيوتهم . وهكذا حصلت الطايفة في ضيق شديد . وبوقته حصل تشويش وامراض وموت وهلقدر (وبهذا القدر) يحير تعب في تدبير انفسهم وبروح الكهنة خفية بالليل لان الروم دايماً مراقبين . ومات اناس من غير وجود كاهن . ثم وجوه الطايفة انوهموا من نفي الكهنة فاشاروا عليهم ينزحوا (يبتعدوا) من الشام ليلا يحصل لهم ثقلة ومخاسر . فتوجه منهم اناس للجبل ومنهم لصيدا

والكتَّاب الذين في عكا وهم كاثوليك اعرضوا لعبدالله باشا وترجوه باحضار الكهنة من رواد . وبالحال توجه امر الى مصطفى برير متسلم طرابلس يطلب منهُ الكهنة . فرجع الجواب انهم في ارواد حسب الاوامر الصادرة من الشام فتخلق عبدالله باشا على برير وكتب لهُ انك كيف تجاسرت وترسل اناس في حكمي للنفي من غير علمي . وثانياً ان الذين طابقت على نفيهم هؤلاء رعيتي من الجبل . فالمراد انك تحضرهم حالاً من رواد وترسلهم لصيدا . وكيف كان (الامر) لازم تحضرهم . فالتزم حالاً احضرهم (1642) وارسلهم حسب امر عبدالله باشا . واقتضى ايضاً ان

برير يتوجه لعكا ويقدم اعذار ويجهد حتى رضي عليه الباشا ورجع لطرابلس

ثم حينما وصل الخبر للشام كاد ان البطرك يفقع من الغيظ الذي شملهُ . والكاثوليك اخذوا روح نوعاً . ولكن البطرك ما هو معلوم كان يهجع من عمل شيئاً من المضرّات . لانهُ قيل عنهُ في حين هيجان الشرّ انهُ مسك ايقونة السيدة وكان يخاطبها بجرارة ان تعينهُ على اضرار الكاثوليك . وهذا صار اكيداً . والذي ظهر من هذا البطرك من الرداوة وقلة الديانة يدهش العقل . ربنا ملوك القياصرة الوثنيين ما وصلوا من بغضتهم للنصارى لهذا الحدّ . ولا نعلم من اين جاز لهُ يضطهد الناس وماذا يقال عنهُ . ولكن عدل الله ينتقم منهُ بالدنيا والآخرة لانهُ اضرّ الناس بافعاله الردية بمقدار هكذا عظيم يبلغ كبير ربنا اربعماية الف غرش وخرب هلقدر (بهذا القدر) بيوت وجعل اسباب يدعوا عليه ليلاً نهاراً واهلك نفسهُ بيده لا شكّ ولا ريب . واما جماعتهُ (فانهم) يعتبروه انهُ بارّ قديس . كذا (هكذا) غرور العالم أعمى قلوب الناس حتى صاروا ينظرون الطلاح صلاح . الله يلطف ويعين

ثم بعد حضور الباشا من الحاج شاع الخبر بعزله من ولاية الشام . وجا . خبر المنصب الى درويش باشا وكان ذلك في سنة الف ومايتين وخمسة وثلاثين (١٨١٥ م) . وحصلت نكتة حينما شاع عزل الباشا المذكور وكان مقيم بالسرايا فحصة (نحو) العصر حضر ثلاثة انفار ميادنه يفتشوا على ابراهيم بحري كاتب المقسام فوجدوهُ قام من السرايا لبيتهِ في زقاق الحراوي صادفوه فضربوهُ بالطبطرية (١ فوقع للارض ثم مشى قليلاً ووقع مايتاً واخذوهُ لبيتهِ ثم قبروهُ . ومضى امرهُ ما صدر شي . من طرف الحكم

﴿ تولي درويش باشا ﴾ وبوقتهِ اقام متسلماً وسليمان باشا طلع للقابون . ثم (165r) حضر الباشا للشام ونادى أمن وامان . وفي ايامهِ كان رخا (رخص) عظيم حتى انباعت غرارة القمح بخمسين غرش . وبعد حضورهِ بايام قريبة شاعت أخبار بعصارة الموره (٢ . والسلطان قتل البطرك كيرلس في اسلامبول مع مطارنة وقسوس شنقهم يوم احد الفصح بجرة (بسبب) اهل الموره . ثم ورد اوامر لقبرص بقتل مطرانها

١) هي السيف القصير العريض

٢) شبه جزيرة في جنوبي بلاد اليونان

وجملة الناس. ثم انهُ جاء امر بقتل ساروفيم بطرك الشام وخلعهُ درويش باشا. ثم جاء امر بضبط سلاح من عند النصارى. وحصل ثقلة من جرى ذلك وتهديد وتهويل حيث انهُ بالصدفة يوجد سلاح عند النصارى وعملت هذه الامور شلش واوهام. ثم بعدهُ بردت وخفّ الشلش نوعاً

ثم تحرّك اليهود الصيارف سلمون وروفائيل بالانتقام من عبدالله باشا والي صيدا بسبب قتلهِ الصرّاف حاييم نسيبهم واخوهم قبل تاريخهِ بسنة. وصاروا يوسوسوا لدرويش باشا الذي كان يعتمد كلامهم. وعبدالله باشا بدى منهُ امور مغايرة مع الدولة. وبعد قتلهِ حاييم المذكور اظهر كبراً وعظمة وصار يعمل اشياء مذمومة خالية من كل صواب. وصار اليهود ينشوا (يُحدثوا) اشياء تهيج عبدالله باشا للشرور. ودرويش باشا يسمع لهم كل ما يقولوهُ

فاولاً صاروا بامر الباشا يقتروا على قرايا البقاع الذين بهم سوامات للامير بشير وابن جنبلاط. ويروح عسكر ينهب ويقتل ايضاً كل من يداقفهم (١ ثم الامير يعرض لعبدالله باشا والمذكور يكاتب درويش باشا بهذا الخصوص ويروح لهُ جوابات قاسية بتعليم سلمون. المقصود بذلك هيجان الشرّ. فصار عبدالله باشا يتكلم كلاماً ردياً في حق والي شام. ثم المذكور يكتب لاسلامبول ويطعن في حق والي صيدا. واتصلت الامور. وعبدالله باشا ما كان يقدّر عواقب ويفكّر كل شيْ يجي بعقلهِ يصير

فحسن بعقلهِ يتلّد فرمان سلطاني مضمونهُ ان (165) ولاية الشام لهُ وارسلهُ للامير بشير وطغاهُ واقتنع منهُ انهُ صحيح. ثم امرهُ يذهب للشام ويطرد درويش باشا. فسمع منهُ وطرح صوت بالجبل وجمع عسكر. ثم عبدالله باشا ارسل لهُ عسكر عشاير من عكا وحضروا الى سجل المزه والتزم درويش باشا يجمع عسكر وحصلت المحاربة بينهما وقتل من الجهتين وانتهبت المزّة والامير انتصر على عسكر الشام. وبوقتهِ حضر للشام مصطفى باشا والي حلب وصحبتهُ عسكر. (منهم) من يقول (ان) حضورهُ بامر سلطاني. ومنهم يقول درويش باشا كتب لهُ يحضر لمساعدتهِ

فبوصول مصطفى باشا للشام ارسلوا يطلبوا من الامير السبب الموجب لحضورهِ ان كان هو بامر سلطاني فيحضرهُ. ثم ان مصطفى باشا ارسل يحقق للامير اشغال

١) اي يقاومهم ويتعرّض لهم

(تغير) الدولة على عبدالله باشا وكلام نظير ذلك. فاستضاء الامير من هذه الاقوال وتحقق عنده افتراء عبدالله باشا وان كلامهُ وافعالهُ زور وبهتان. فانفضّ عمَّا عظيماً وبالحال قام بالعسكر الى ارض حاصبيًا. وكتب الى عبدالله باشا كلاماً كثيراً وان الذي عملناه لهُ غوائل ردية. فهجع عبدالله باشا. اما الباشاوات اعرضوا للدولة بما توقع. فورد الجواب بالامر الصارم في محاصرة عكا وطرد عبدالله باشا منها. وارسل السلطان ابراهام باشا والي ادنه وتوجهوا الثلثة وزراء للبقاع ليتدبروا اولًا مع حاكم الجبل

فالامير تحسب منهم وتمسك في عبدالله باشا ولكن الشيخ بشير جنبلاط اظهر غرضهُ لناحية الوزراء. وصار يشور وينصح الامير بتركهِ عبدالله باشا وذلك بمكر منهُ لعلمهِ انهُ لم يكن ينصاغ (ينقاد) ولا يركن للمذكورين. فاظهر الزعل من الحكم وانهُ يطلع من البلاد. وكتب الى عبدالله باشا بما توقع. فطلبهُ يحضر عكا فما ارتضى الامير يرمي حالهُ بل انهُ يروح بيروت. فحالًا ارسل لهُ ذخيرة وافرة لبيروت وامر بتفريغ ابراج بيروت والسرايا ايضاً لاجلهِ. واما هو (فانهُ) ما حسن (166ر) عنده يدخل المدينة لتأكيدهِ ان اهل بيروت اظهروا غرضهم لدرويش باشا. بالظاهر امورهم ملمعه. فحضر للحرش واهل بيروت ارسلوا لهُ خيام وذخيرة. فاستقام خمسة ايام وبلغهُ ان الشيخ بشير جنبلاط نزل للبقاع يواجه الوزراء. وذهب صحبتهُ الامير عباس شهاب الذي يوصوله لبس خلعة من درويش باشا وجعلهُ حاكماً بالجبل. والدولة ولّت درويش باشا في ولاية الشام وصيدا

فالامير حسن عندهُ التوجه لمصر. فاستأجر مركب من بيروت بواسطة رجل افرنجي سراً بخمسة وثلاثين كيس الى دمياط فقط. وحضر المركب لقرية الناعمة بالليل ونزل بهِ الامير ومن خدمه الذين اختارهم. ووصل دمياط ومنها لمصر وصار لهُ قبول من واليها

ثم ان الوزراء توجهوا الى عكا وعبدالله باشا سكّر البوابات واعتمد للحاصرة. ومضى ايام واشتدّ البرد وابراهام باشا تشوش ومات. وسلمون اليهودي ارتعب من تهديد مصطفى باشا الذي كان مزمع يقتلهُ لولا خاطر درويش باشا لانهُ كان متصوّر في عقلهِ ان اصل هذا الشر كلّه كان منهُ. وحذرهُ يوماً قدام درويش باشا فارتعب

وغمي عليه . فاخذوهُ الى خيمته فصار لهُ دور حمى صعب وفي رابع دور مات . ثم انهُ باقامة المرضى (المحاصرة) اياماً كثيرة على عكا ما ظهر ثمرة . وبعد ايام قليلة حضر امر من الدولة بعزل درويش باشا من ولاية الشام وصيدا ويتوجّه الى كوطاهيا وامر الى مصطفى باشا يقيم مكانهُ الى حضور امر ثاني . وهكذا فترت (هدأت) الامور . ثم وصل امر سلطاني بقيام الباشا المذكور ويكون وزيرًا بالشام . وعبدالله باشا جاء لهُ رضى وعفو ويبقى مكانهُ . وهذا صار من محمد علي باشا والي مصر بواسطة الامير بشير وانتهى الموكب على ولاش (ولا شيء) وما صار افادة الّا بفقد هلقدر عالم (عدد عظيم من الناس) بجرة (بسبب) هذا الشر قبل وبعد واخيرًا في موت سلمون منشئ هذه الامور . وايضاً طلعت في رأس درويش باشا

ثم ان (166) الامير من بعد مدّة قريبة حضر من مصر وطلع لعكا ثم للجبل وعزل الامير عباس وبغض الشيخ بشير للنهاية

ثم وفي مدة ولاية درويش باشا انكسرت شوكة الروم وبطركهم بسبب حادث الموره . فقدم المتغربون عرضحال لاجل حضورهم لاشغالهم مع قسوسهم . ولا بد نفد من الطايفة خدمة الوزير . فصدر لهم بيلردي بشرح مستطيل . والمضمون ان بطرك الروم ليس لهُ قارش معهم على الاطلاق ولا مع قسوسهم ولا يعترضهم اين ما ارادوا يتسموا امور ديانتهم . وتوجه لهم هذا البيلردي للجبل . فحالًا جمعوا الكهنة المرتبين بالشام وجاءوا بهم جملةً للشام باشتهار وعزازة . والروم مع بطركهم انقهروا جدًا وما استفادوا غير عمل الخطية واعطا جواب لله تعالى في ذلك الموقف العظيم . واستقام درويش باشا والي شام سنتين ومضى امرهُ وتولى الشام مصطفى باشا (لهُ بقيّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (ذ يح)

٥ ماردين

قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً صرفناها بين الزيارات الرسميّة للسادة الاساقفة ولوجوه الطوائف والاقارب وبين مقابلة ادباء المدينة واستعراض آثارها

ماردين مدينة قديمة ذكرها الجغرافي اليوناني بطليموس في القرن الثاني المسيح ثمّ اميان مرقلان من مؤرخي القرن الرابع (في الكتاب الثامن عشر من تاريخه الفصل السادس . وفي الكتاب التاسع عشر من الفصل التاسع) وقد عدّها هذا الاخير من اخصّ قلاع جبل الإزْل وهو الجبل المعروف عند الرومان بماسيوس (Massius) على عطفه الغربي والبعض يلحقونها بجبل قرج داغ من جبال ديار بكر (١ على عطفه الجنوبي

وكانت ماردين في الاصل حصناً اختاره كما هو المظنون ملوك الفرس لحفظ ثغورهم ثم صار الى الرومان فجعلوه من احصن قلاعهم واحرزها فاخذ اهل تلك البلاد يشيدون لهم الدور حولها ليحتموا بجماعها من هجمات العدوّ وفيها الى اليوم عدّة آثار تدلّ على انّ المدينة كانت مأهولة منذ القرن الرابع منها نقود ونقوش وفسيفساء ومدافن . ومن اقدم ابنيتها كنيسة مار جرجس للارمن الكاثوليك وكنيسة مار هرمز للكلدان وكلتاهما من طرز كنائس القرن الخامس او السادس في بلاد الجزيرة

ولمّا دخل العرب ما بين النهرين كانت ماردين من جملة المدن التي فتحها صلحاً العياض بن غنم مع نصيبين ودارا وحصن كيفا وطور عبدين السنة ١٩ هـ (٦٤١ م)

وقد بقيت في حكم الخلفاء العبّاسيّين الى اواخر القرن الخامس للهجرة حيث استولى عليها الملوك السلجوقيون وصارت بعد قليل في عهدة احد امرائهم المعروف بايل غازي وهو رأس الدولة الارتقيّة سلاطين ماردين الذين تملكوها نيفاً وثلثمائة سنة فخلفهم عليها التركمان مدّة الى ان فتحها آخرًا السلطان الغازي سليم الاوّل سنة ١٥١٥

وقد ذكر ماردين كلّ جغرافيي العرب واطنبوا في وصف حرازتها . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) : « ماردين قلعة مشهورة على قُنّة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدّامها ربض عظيم فيه اسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبُط وخانقاهات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الاخرى وكلّ درب منها يشرف على ما تحتهُ من الدور ليس دون سطوحهم مانع » . وقال

١) هذا قولهُ الحرفي (Per Izalem montem inter castella præsidiaria duo Merida et Lorne (*Amm. Marcelin* XIX, 9)

ابن حوقل (ص ١٤٣) : « وبالقرب من نصيبين جبل ماردين ومن قرار الارض الى ذروته نحو من فرسخين وعليه قلعة تُعرف بالباز الاشهب في بلد الروم لا يُستطاع فتحها عنوةً وبجبل ماردين جوهر للزجاج جيد » . وروى القزويني لبعضهم قولهُ في وصف ماردين :

في ماردين حماها الله لي سكنٌ لولا الضرورةُ ما فارقتها نفسا
لاهلها السنٌ لانَّ الحديد لها وقلبهم جبلي قد قسا وعسا

امَّا اسمها فزعم كتبة العرب أنهُ جمع « مارد » ثم روى صاحب معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) انَّ مستحدث هذه المدينة بلغهُ قول الزيّاد « تمرَّد مارد وعزّ الابلق » ورأى حصانة قلعتهِ وعظمها فقال « هذه ماردين كثيرة لا مارد واحد » وانَّما جمعهُ جمع من يعقل

غير انَّ هذا الرأي في اشتقاق اسم ماردين ضعيف واصل تسميتها « مَرْدة » كما ورد في اقدم النصوص اليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة وهي تُنسب الى المرد جيل من اجيال الفرس ذوي البطش كان الملوك يستدعونهم الى الدفاع عن الاماكن الحصينة لدربتهم على الحرب . ومعنى اسمهم « الرجال الاشدَّاء والصناديد » . ومنهم المردة الذين سكنوا قيليقية وحصَّنوا دربَ الدروب وعُرفوا هناك بالجراجمة وهم الذين وكل اليهم ايضاً ملوك الروم تحصين لبنان في وجوه العرب في عهد بني اميَّة (١ وقد جُمع الاسم على صورة الجمع السرياني فقيل « مَرْدين » او « ماردين »

والحقّ يقال ان ماردين كانت احسن مقام للدفاع عن ثغور بلاد الجزيرة وهي على اعطاف جبل عالٍ منقطع من ثلاث جهات فلا يُدخل اليها الَّا من مضايق ومعابر يسهل تمكين استحكاماتها في وجه العدوّ . وقد زادت الصناعة في عمل الطبيعة اذ شُيدت في قنَّة الجبل تلك القلعة المنيعة التي عجز عنها كثيرون من الابطال ومن جملتهم تيمورلنك الذي حاصرها زمناً طويلاً فلم يفلح في كسر شوكتها وذلك سنة ١٣٩٦ (انظر صورة هذه القلعة في المشرق ١٢ : ٥٩٢)

---

١) راجع ما كتبهُ حضرة الاب لامنس في المردة والجراجمة (المشرق ٦ : ٣٠١، ٤٠٤) ومقالات سيادة المطران الجليل يوسف دريان في الامر عينهِ

ولماردين مع حسن موقعها صفات قلّما تجتمع في مدن الشرق كنقاوة جوّهـا ورطوبة هوائها واعتدال مناخها وخصب ارضها العجيب وحولهـا الحدائق الغنّاء والبساتين الغزيرة الخيرات الوافرة الغـلّات مع ضروب الفواكه الكثيرة الاجناس اللذيذة الطعم وقد شبّه سيّاح الفرنج محاسنها بمدينة كريتو عاصمة جمهوريّة خطّ الاستواء في اميركا

وقد دخلت النصرانيّة مدينة ماردين في قرون النصرانيّة الاولى وعلى الاقلّ بعد تنصُّر قسطنطين الكبير اذ عمَّت النصرانيّة تلك الانحاء ولا سيما جاراتها نصيبين وآمد ودارا. ويؤيد ذلك ما وجدوهُ بقرب القلعـة من آثار الابنية القديمة المبنيّة بالحجارة البركانيّة بينها البروج المستديرة والدور المتينـة. وذكر المسيو أينسورث (Ainsworth) انَّ بينها المعابد الواسعة ومقبرة كثيرة الدافن تُرى عليها الصلبان ومعابدها على هندسة معابد النصارى وكل ذلك يثبت رأي مؤرخي الارمن الذين يرتأون انَّ ماردين هي مَرْدَة القديمة التي ملكها طِرْدات الثـاني المتولي على تلك الانحاء باسم الرومان في اواخر القرن الثالث وهو الذي نصَّرهُ القديس غريغوريوس المنوّر فتبعتهُ الرعيّة في نصرانيّتهِ (١

ثم كثر في جبل ماردين وملحقاتهِ عدد السيّاح والنسّاك والاديرة حتى دُعيت تلك الجهات بجبل القديسين او طور عابدين (او عبدين) وكان بعض هذه الاديرة يبلغ عدد رهبانهِ بضع مئات بل بضعة الوف كما تشهد عليـهِ الآثار التاريخيّة وقد كتب حضرة الاب اسحاق ارملة في المشرق (١١ : ٧٦٠) مقالة حسنة في ادبار ماردين نُحيل القرّاء اليها

على ان معالم الدين القويم قد طُمست نوعاً في ماردين لمّا جرت تلك المنازعات الدينيّة التي اوقعت قسماً كبيراً من اهل الجزيرة والعراق في بدعتي النسطرة واليعاقبة فاصبحت ماردين احد مراسح خصومات البدعتين. وكان اليعاقبة فيها على فرعين فرعٌ ارمني كان ينتمي الى عنصر الارمن وفرع وطني سرياني. وصار لليعاقبة السبق على

١) روى تاروفان المؤرخ انَّ ارشك الخامس ملك العجم كان اتخذ قبائل من المردة الى جبال الجزيرة وانَّ ماردين باسمهم دُعيت . وكان هؤلاء القوم يدينون بدين المجوسيّة ثم تنصَّروا . اطلب ايضاً (Cuinet: *Turquie d'Asie*, II, 501)

النساطرة لاسيما لمّا ابتنوا دير الزعفران وجعلوه مركزاً لبطاركتهم منذ القرن السابع فصارت ماردين حصن اليعقوبيّة

وفي ذلك القرن السابع دخل الدين الاسلامي في ماردين فاسلم قسم من اهلها وكان بقي فيها بقايا من المجوسيّة ومن اشياع اليزيديين عبّدة الشيطان ولم تخلُ المدينة حتى اليوم من آثار هذه الاديان. واصدق ما نعرف من احصاء اهل ماردين انّ عددهم يبلغ ٤٠,٠٠٠ النصف منهم مسلمون والباقون نصارى وليس في ماردين اثر ليهود

واغلب هؤلاء النصارى في يومنا من الكاثوليك اذ لم يبقَ في ماردين من المبتدعين سوى ١٥٠٠ من اليعاقبة. امّا النساطرة فقد باد جنسهم منها. ولم تنل الكنيسة الرومانيّة بهذا الفوز الباهر الّا بعد الجهاد الطويل بعد ان كان اسم الكثلكة مجهولاً في ماردين

والفضل في هذا التغيير العظيم انّما هو عائد الى المرسلين اللاتين الذين منذ ثلاثة قرون افرغوا ما عندهم من وسائل النعمة الرسوليّة ففصلوا عن بدعتي نسطور واوطيخا شعباً مختاراً اناروه بنور الايمان وربطوه مع مركز الوحدة بروابط شديدة جدّدت روحهُ واثمرت كما في اوائل الكنيسة ثمار الخلاص والنعمة

وكانت ماردين بعد حلب احدى المدن التي اصابت سهماً افوز من هذه النهضة الدينيّة. ولعلّ اوّل من دخلها من المرسلين الآباء اليسوعيون سنة ١٦٨٢ وهم الابوان ميشال نو (M. Nau) ورينه بيليون (René Pillon) والاخ الساعد هيلار فاستأجروا في ماردين بيتاً واخذوا يرشدون النصارى فاجتمع اليهم كثيرون طلبوا الانضمام الى الكنيسة الرومانيّة. وكان الاب نو يتعاطى الطبّ فيقصده المرضى من كل صوب. الّا انّ اليعاقبة اثاروا على المرسلين اهل نحلتهم ورشوا عمّال الدولة فألقوا المرسلين بالحبس واذاقوهم ضروب العذابات فلم ينجوا منها الّا بعد غرامة طائلة واضطروا الى ان يخرجوا من ماردين ويعودوا الى حلب

ثم قدم بعد ذلك الى ماردين الكبوشيون والكرمليون في القرن الثامن عشر وردُّوا اكثر نساطرة ماردين بمساعدة البطاركة الكلدان الكاثوليك اليوسفيين الذين في ديار بكر (١. وكذلك سعى هؤلاء المرسلون بردّ يعاقبة ماردين (٢ وارمنها

١) راجع تاريخ هؤلاء البطاركة في المشرق (٣: ٨٧٨-٨٨٢) ٢) راجع في

الغريغوريين مع بعض تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومية كالسيد ملكون طاز باز والسيد اندراوس اخيجان اوّل بطاركة السريان الكاثوليك (١

وبقي هؤلاء المرسلون في جهاد متواصل حتى اواخر القرن الثامن عشر ثم عادوا في القرن التاسع عشر واستأنفوا رسالتهم لكن الكرمليين انضمّوا بعد ذلك الى اخوتهم في رسالة بغداد وبقيت ماردين مركزًا للرسالة الكبوشيّة وحدها وكان يرأسها قصّاد رسوليّون من الرهبانيّة عينها اوّلهم السيد نقولا كستلس (Nic. Castells) الاسباني الذي سعى مع الاب ريون في ردّ اليعاقبة والارمن فبارك الله مساعيهُ برجوع معظم ارمن ماردين الى الكثلكة وارتداد كثير من اليعاقبة. وكانت وفاتهُ في ماردين في ٧ ايلول سنة ١٨٧٣. وفي السنة ذاتها في ٤ تشرين الثاني توفي خلفهُ في القصادة الرسوليّة السيد زكريّا فانشيولي (Zach. Fanciulli)

واتفقت هذه الحركة مع اهتداء ذاك البطل المقدام السيد انطون سحيري الشهير الذي نبذ الشيعة اليعقوبيّة وتكثلك وتمعن بطريركًا على الطائفة السريانيّة واجتذب عددًا عديدًا من مشايعيهِ الى الاحتذاء بمثلهِ. وكانت وفاتهُ برائحة القداسة سنة ١٨٦٤

فكانت نتيجة غيرة كل هؤلاء ان ماردين لم يبق فيها في عهدنا لا نسطوري ولا ارمني غريغوري الّا ١٥٠٠ يعقوبي كما مرّ. وفي المدينة ثلاثة رؤساء اساقفة ارمني وسرياني وكلداني وهناك كرسي بطاركة السريان كما قرّرهُ المجمع المقدّس واثبتهُ مجمع الشرفة

امّا الكبوشيون فلا يزالون مع قلّتهم يجدّون في خدمة نصارى ماردين وتهذيب احداثها ومعالجة مرضاها مع رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة. وبهمتهم قدمت راهبات فرنسويات منتميات الى رهبانيّة مار فرنسيس السنة ١٨٨٢ ففتحن المدارس للاناث وازدحمت عندهن الفتيات على اختلاف مللهنّ

المشرق قصّة اهتداء اهل ماردين اليعاقبة التي رواها الشمّاس ايليّا بن الكزبر (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٥٨٩ الخ)

١) راجع تاريخي الكنيسة السريانية لسادة رئيس اساقفة حلب على السريان السيد ديونوسيوس افرام نقّاش وللفيكنت فيليب طرّازي

وكان يدبّر الرسالة الكبوشيّة يوم مرورنا في ماردين حضرة الاب دانيال دي مُنوپُلو (Daniel de Menopolo) وهو لا يزال في تدبيرها حتى الآن . ومن فضله على نصارى ماردين انّهُ بعد خروجنا منها بأيّام اذ تهدّدتهم قبائل الاكراد بالنهب والقتل كما جرى في ديار بكر التجأ الى ابراهيم باشا ودعاه الى الدفاع عن المظلومين ففعل وردّ الاكراد عن ماردين . وفتح الاب دانيال ديرهُ للهاربين من تل ارمن والضياع المجاورة وآوى منهم ألفين بنيّف . فشكرت فرنسة للمرسل همّتهُ ومنحت على يده نوطاً ذهبيًّا لابراهيم باشا

رأيت في وصف الكتبة لماردين انهم يذكرون مدارسها . وما لا يُنكر انّ تلك المدينة في عهد الدولة الارتقيّة بلغت بعض الشهرة بآدابها ومعارفها . وقد اشتهر فيها علماء كالسبط المارديني الواسع التآليف في علوم الهيئة والهندسة والفرائض توفي سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ م) . واشتهر الشاعر ابن مشرف المارديني وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة فريدة من ديوانهِ . توفي في اواسط القرن التاسع للهجرة . وفي ماردين اشتهر صفي الدين الحلي في اواخر القرن السابع واوائل الثامن فمدح سلاطين ماردين وافاض في وصف محاسن حاضرتهم فمنّا قال :

حبّذا ارضُ ماردين وبَرْ م ـ الظلّ فيها ومارها وهواها
بلدةٌ تنبتُ الكرام فلا م ذُقتُ فيها ولا عدمتُ فاها
فهي ارضٌ ان لم تكن هي ذاتُ م النفس مني فانّها مشتهاها
جمعتْ سائر المُنى فلهذا م ما اتاها ذو الحلم الّا وتاها
كم رأينا لها وفيها ومنها م صورًا تُسفك الدماء دُماها
لو تمكّنتُ ان اقضّي بها م العمر جيمًا لما سكنتُ سواها

وهو القائل : لئن وهي يغدُ السحاب الشين فلا عدا رَبْعَك يا ماردينْ
مدينةٌ لم ترَ في جوّها جَورًا ولا في اهلها ماردينْ
كم شاهدت عيناي من اهلها اظهار معروف واضمارَ دينْ
افاضلٌ في غيّهم ما رَدَوْا ونسوةٌ في مثلهِ ما رَدِينْ

وكان سبق الاخطل (ص ٢٠٩) فوصف ماردين بشعرهِ الجميل :

رأوا ثغرًا تُحيط بهِ المنايا وأكبدَ ما يثيرهُ النيارُ
فسابي ماردونَ بهِ الثريّا وأيدي الناس دونهُ قصارُ

ومع ما حلّ بماردين من خمول المعارف لا يزال بين اهلها شيء من مسحة الآداب فاجتمعنا بمن اشاروا الينا بتقدُّمهم في الدروس فلقينا عندهم من اللطف والمجاملة ما زادنا لاشخاصهم اعتبارًا. على انَّ المسلمين في الغالب لم يحرزوا من العلوم الّا قليلًا من الصرف والنحو وبعض العلوم الدينيَّة لاسيما الفقه وكذلك النصارى لم يزيدوا شيئاً على مبادئ العلوم لخلوّ ماردين من المدارس العصريَّة المحكمة. لكنَّ بعض ارباب الاكليروس الماروني الذين تخرَّجوا في مدارس بيروت وغزير والشرفة ناشرون في وطنهم معالم الآداب جامعون بين الفضائل الكهنوتيَّة والمعارف البشريَّة. وقد فتح المرسلون الاميركيون مدارس في ماردين يبثون فيها مذهبهم البروتستاني اكثر منهم للعلوم ولذلك يأخذ الاهلون حذرهم منهم. ومعظم طلبتهم من اليعاقبة

وقد اطّلعنا في ماردين على ما تحوزهُ بعض المكاتب من المآثر الادبيَّة ففي كنيسة الكلدان مكتبة قديمة تحتوي بضع مئات من الكتب الكلدانيَّة والعربيَّة منها بعض الاناجيل راقية الى ما وراء القرن العاشر وكتب طقسيَّة فيها النقوش البديعة والتصاوير ومنها تآليف لمشاهير كتبة السريان كالقديس افرام ومار يعقوب وغريغوريوس بن العبري ومنقولات عن الآباء اليونان. ووجدنا السيد ايليا ميلوس وهو اذ ذاك رئيس اساقفة ماردين على الكلدان مغرماً بهذه التآليف القديمة وقد نشر شيئاً منها بالطبع

وفي هذه المكتبة وُجدت الترجمة الكلدانية لكتاب كليلة ودمنة السابقة لتعريب ابن المقفع بنحو ثلاثمائة سنة فنشرها في المانية العلاَّمة بيكل (Bickell)

وكذلك عند السريان الكاثوليك والارمن بعض المخطوطات السريانيَّة والعربيَّة التي تستحقّ الذكر واكثرها لكتبة نصارى من مرسلين اوربيين ورهبان وطنيين ولم يخب رجاؤنا تمّا كنّا نؤمّلهُ من اقتناء بعض تلك الآثار

واذ كان بلغنا سابقاً انَّ في دير الزعفران مكتبة مهمَّة عوَّلنا على زيارتها بصحبة حضرة الخوري هرمز نورسو الكلداني واحد تلامذة كليَّتنا في بيروت الذي قام بخدمتنا ما امكنهُ مدَّة اقامتنا في ماردين. فركبنا الجياد في ١٢ من شهر تشرين الاوَّل وسرنا الى ذلك الدير الشهير فقطعنا بعض بساتين ماردين فبلغنا قرية « قلعة مرا » التي يعتبرها اليعاقبة كاحدى امّهات شيعتهم ولم نلبث حتى وصلنا بعد ساعة الى دير

الزعفران وهو لا يبعد عن ماردين اكثر من ثمانية كيلومترات . وهذا الدير عبارة عن ابنية ضخمة متراكمة يحدق به سور كحصن . ووراء السور دهاليز معقودة يُدخل منها الى الدير . واقدم ما فيه كنيستهُ المبنيَّة على طرز كنائس القرون الوسطى بهندسة بسيطة الَّا انها موافقة لعبادة الرهبان وفرائضهم . وقد روى ابن العبري في تاريخهِ الكنسي طبعة لامي (Greg. Barhebræi Chronic. Eccles L. 338) انَّهُ كان قرب ماردين حصن مبني بالحجارة المنحوتة منذ عهد الرومانيين فاشتراه حنانيَّا مطران اليعاقبة وجعلهُ ديرًا وغرس فيهِ كرماً وزيتوناً وشيَّد فيهِ كنيسة ومذبحاً واجتمع اليهِ رهبان كثيرون فعُرف هذا الدير بدير حنانيَّا وهو دير الزعفران

وهذا الدير في أيامنا يسكنهُ نحو عشرة رهبان وفيهِ منذ عدَّة قرون مقام بطاركة اليعاقبة . وكان البطريرك لمَّا زرناه هو المسمَّى عبد المسيح . فطلبنا مواجهتهُ واستقبلنا في قاعة كبيرة هي الديوان فبعد ان دار الحديث بيننا قليلاً طلبنا اليهِ ان يرخص لنا بزيارة المكتبة فكان جوابهُ انَّ المكتبة ليست منتظمة وليس فيها شيء يستحق الذكر فاردفنا بانَّا لا نريد الَّا الاطلاع على مضامينها مهما كانت والححنا عليهِ بالطلب فلم يمكنَّا اقناعهُ . وممَّا اخبر الرحَّالة ساخو (D^r Ed. Sachau) انَّهُ في سنة ١٨٧٩ زار دير الزعفران في ايَّام البطريرك بطرس وانَّهُ وجد في مكتبتهِ نحو عشرين كتاباً النصف منها مكتوب على الرق وبعضها يرتقي الى القرن العاشر او التاسع . ثمَّ قال « بانني ان مكتبة الدير نُقلت الى ديار بكر والله اعلم » . فودعنا البطريرك غير مشتبهين على كرمهِ بل صرَّحنا لهُ بانَّنا اذا كتبنا يوماً تاريخ رحلتنا سوف نذكر ردَّهُ ملتمسنا

ومن غريب ما جرى للبطريرك المذكور انهُ سافر بعد ذلك الى الاستانة نحو السنة ١٩٠٥ فمرَّ في بيروت واتى الى كليَّتنا ليزورها فرحَّبت بهِ ورافقتهُ في زيارة معاهد مدرستنا وادخلتهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ثم ذكَّرتهُ كيف اقفل دوننا مكتبة دير الزعفران فاعتذر الينا ووعدنا انهُ لا يبخل علينا مرَّة اخرى بمطالعتها . لكنهُ لم يرَ عليهِ بضعة اشهر حتى عُزل عن البطريركيَّة بامر السلطان عبد الحميد (لهُ تابع)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي
النصرانية بين عرب شمالي سورية (تابع)

ونختم هذا الفصل باثر جميل وُجد في بعض مخطوطات لندن السريانيَّة التي وصفها العلَّامة رَيت في قاعة المتحف البريطاني تحت العدد ٧٠٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية الى اواخر القرن السادس المسيح من جملتها رسالة مضمونها دستور الايمان كتبها رؤساء ادبرة اقليم البلاد العربيَّة (ܒܝܬ ܡܨܥ ܘܒܝܬ ܐܒܠ ܘܒܝܬ ܚܡܠ) ووجَّهوها الى يعقوب البرادعيّ ليرذلوا فيها بدعة يحيى النحويّ في تثليث الجوهر الالهيّ (Trithéistes) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المسيو لامي (M^gr Lamy) رئيس كليَّة لوقان في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ (ص ١١٨—١٣٨) وهي موقعة بامضاء ١٣٧ رئيساً على ١٣٧ ديرًا موقعها كلُّها في اقليم العربية الممتدّ شرقي بلاد الشام الى جهات الفرات (١. فناهيك بهذا العدد العديد شاهدًا جليلًا على انتشار النصرانيَّة بين عرب الشام وسوريَّة. على انَّ هؤلاء العرب كانوا جنحوا الى البدعة اليعقوبيَّة كما ترى. وأيد ذلك ابن العبريّ في تاريخه الكنسيّ حيث قال (ج ١ ص ٢١٧): « انَّ كلّ قبائل العرب التي كانت في البادية (يريد بادية الشام والفرات) كانوا معارضين للجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين ». فهذا القول مع ما فيه من المبالغة لا يخلو من الصحَّة. وعلى كلّ حال يثبت قولنا في شمول النصرانيَّة لعرب بلاد الشام والفرات الى حدود العراق

١) اطلب مقالة العلَّامة نولدك في بحثه الجغرافي عن مواقع هذه الاديرة في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, XXIX, 419-444)

والمستشرقون في عهدنا يرتأون هذا الرأي. قال الهولندي دوزي (B. Dozy) في مقدّمات كتابه عن الاسلام. الترجمة الفرنسويّة لشوفان (V. Chauvin, p. 13) « كان عرب سوريّة يدينون بالنصرانيّة » (Les Arabes de Syrie professaient le Christianisme) ويشاركهُ في هذا الرأي غيرهُ من العلماء كنولدك وغولدتسير (J. Goldziher) ولونرمان (Lenormand) بل كل من لهُ بعض المام بتاريخ العرب في الجاهليّة

الفصل العاشر
النصرانية في الحجاز ونجد

تتبّعنا كما رأيت آثار النصرانيّة في اطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبق علينا الّا ذكر اواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتمّ ابحاثنا عن تاريخ النصرانيّة في كل انحاء جزيرة العرب

والحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتدّ من تخوم صنعاء في اليمن الى تخوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي الى شمالها الغربي وقد دُعي حجازاً لانهُ يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في اواسط الجزيرة . ويُدعى الحجاز ايضاً بجبل السَّراة وهو اعظم جبال العرب وفيهِ اشهر مدنهم اي مكة والمدينة وتدخل فيهِ دومة الجندل حتى أيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بآخر بلاد الحجاز

فتلك البلاد كانت قديماً عريقة في الوثنيّة ولاسيما في عبادة قوّات الطبيعة واخصّها النيّران العظيمان الشمس والقمر ثم الزُّهرة. على انَّ دُعاة الدين المسيحي لم يحجموا عن دعوة اهلها الى النصرانيّة كما تشهد عليهِ شواهد ثابتة نقلها قدماء الكتبة من يونان وسريان وعرب. وقد اثبتنا سابقاً شهادة ابن خلدون (ج ٢ ص ١٥٠ من تاريخهِ) في بعثة الرسول برتلماوس « الى ارض العرب والحجاز ». وسبقهُ الى مثل ذلك الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٧٣٨) حيث قال: « وكان ممن توجّه من الحواريين... ابن تلما (اي برتلماوس) الى العربيّة وهي ارض الحجاز » وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ١٧٢ ed. Wüstenfeld,):

« وبُعث من الحواريين . . . ابن تلما الى الاعرابيَّة وهي ارض الحجاز » . وجاء في ترجمة القديس يعقوب اسقف اورشليم (ص ١٧) انَّهُ « نصَّر ارض فلسطين وما يليها من ناحية حمص وقينارية والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة طريفة عن رسول السيد المسيح الى العرب نرويها بحرفها دون القطع بصحتها قال (١ : ٧٣٨ — ٧٣٩) :

حدَّثنا ابن حميد . . . عن ابي سُليم الانصاري ثم الزُرَقي قال : كان على امرأة منَّا نذر لتظهرنَّ على رأس الجبَّاء جبل بالعقيق من ناحية المدينة (قال) فظهرتُ معها حتى اذا استوينا على رأس الجبل اذا قبر عظيم عليهِ حجران عظيمان حجر عند رأسهِ وحجر عند رجليهِ فيهما كتاب بالمسند لا ادري ما هو . فاحتملتُ الحجرين معي حتى اذا كنت ببعض الجبل منهبطًا ثقلا عليَّ فألقيتُ احدهما وهبطتُ بالآخر فعرضتهُ على اهل الربانيَّة هل يعرفون كتابتهُ فلم يعرفوهُ . وعرضتهُ على من يكتب بازبور (اي العبرانية) من اهل اليمن ومن يكتب بالمُسنَد فلم يعرفوهُ . فلمَّا لم اجد احدًا ممَّن يعرفهُ القيتهُ تحت ثابوت لنا فمكث سنين . ثم دخل علينا ناس من اهل ماه من الفرس يبتغون (ويروى : يبيعون) الحرز فقلتُ لهم : هل لكم من كتاب . فقالوا : نعم . فاخرجتُ اليهم الحجر فاذا هم يقرأونهُ فاذا هو بكتابهم : « هذا قبرُ رسول الله عيسى بن مريم عليهِ السلام الى اهل هذه البلاد » . فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوهُ على رأس الجبل

فهذه شهادة جليلة تشير الى مجيء احد رُسل السيد المسيح الى الحجاز قريباً من المدينة . ومن عجيب امر كاتبها انهُ يعتبر كالنصارى « عيسى بن مريم » كاله اذ قرينة الكتابة تبين انَّ الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من « الله عيسى »

﴿ ايلة ﴾ كما مرَّ في طرف الحجاز من جهة الغرب كان اهلها قبل الاسلام نصارى ويهودًا . ولا يبعد ان النصرانيَّة دخلت فيها بعد المسيح بزمن قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين . وما لا يُنكر ان صاحبها كان نصرانيًّا لمَّا ظهر رسول العرب واسمهُ يوحنا بن روبة صالحهُ نبيُّ الاسلام على جزية كانت تبلغ ٣٠٠ دينار . وفي كتاب وفادات العرب على محمَّد لابن سعد (ed. Wellhausen, *Skizze*. IV, ٢٧) ما حرفهُ :

« قال وقدم يحنَّه بن روبة على النبي وكان ملك ايلة . . . واقبل ومعهُ اهل جربا . واذرح . فاتوهُ فصالحهم وقاطع عليهم جزية معلومة . . . اخبر عبد الرحمن بن جابر عن ابيهِ قال : رأيتُ على يحنه بن روبة يوم أتى النبيَّ صليباً من ذهب وهو معقود الناصية فلمَّا رأى رسول الله كفَّر واومأ برأسهِ فاومأ اليهِ النبيُّ أن ارفعْ رأسك وصالحهُ يومئذٍ وكساهُ رسول الله بُرد يحنة . . »

﴿ دومة الجَندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق كان مبنيًا بالجندل اي الصخر وكان حولهُ مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أُكيدر الملك ابن عبد الملك السكوني. وكانت دومة الجندل عند ظهور نبيّ الاسلام كلها نصرانيّة عليها اسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب « مدينة الله انطاكية » من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة. وكان ملكها أُكيدر نصرانيًا فبعث اليهِ محمد رسول الاسلام خالد بن الوليد في ربيع الاوّل من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ م) فاسرهُ

قال ابن سَعد في كتاب وفادات العرب (ص٢٧) بعد ذكرهِ يحنّه بن رؤبة صاحب أَيلة : « قال ورأيت أُكيدر حين قدم بهِ خالد وعليهِ صليب من ذهب وعليهِ الديباج ظاهرًا ». وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٦٢٦) انَّ خالدًا حاربهُ السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل اخاه حسّان. قال : « ثم انَّ النبيّ صالح أكيدر على دومة وامّنهُ وقرَّر عليهِ وعلى اهلهِ الجزية وكان نصرانيًا . . . ». وفي فتوح البلدان للبلاذريّ (ص ٦١—٦٣) انَّهُ أَسلم ثم ارتدَّ بعد وفاة محمّد فاجلاه عُمر من دومة الجندل فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بهِ منازل سمّاها دُومة باسم حصنهِ فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل أكيدر

اما اهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام. وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١

﴿ وادي القرى ﴾ هو وادٍ بين الشام والمدينة يُعدّ من الحجاز ومنهُ كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيهِ لوفرة مياههِ وخصبهِ منها الحِجر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي اوّلًا ثم نزلتهُ قضاعة وهي من اثبت القبائل في النصرانيّة ومنهم بنو سليح الذين ذكر المؤرخون تنصُّرهم

---

١) اطلب تاريخ العرب في الجاهليّة لكوسان دي برسفال : (Caussin de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 214, II, 232,265)

في الشام (١ وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكرهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقة (الاغاني ٧ : ١٦١) :

وغن منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرة اذ تَلقى جودًا وبَشرا
منعناهُ من عُليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روح بين قرحٍ وخيبرا
فربّان وهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الاباق حصن السمؤل . والشائع انّ السمؤل كان يهوديًا الّا اننا لمّا طبعنا لاوّل مرّة ديوانهُ اتينا في المقدّمة ببعض الشواهد المثبتة نصرانيتهُ (٢ كاصلهُ الغسّاني وكذكرهِ في شعرهِ على بعض تلامذة المسيح بل تصريحهِ باسم السيد المسيح في قصيدة لاميّة وجدت في الموصل حيث يقول

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

ولعلّ الصواب انّهُ كان من احدى الشيع اليهوديّة المتنصّرة (Judéo-chrétien)

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على اربع مراحل من الحجر كان بهِ عين ونخلٌ . ملكهُ المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد ان حاربوا فيهِ الروم ومعهم نصارى العرب من غسّانة ولخم وجذام . وكان اهل تبوك من نصارى قضاعة قال ابن خلدون نقلًا عن ابن سعيد (٢ : ٢٤٩) : « وكان لقضاعة ملكٌ آخر في كلب ابن وَبَرة بن تغلب يتداولونهُ مع السُكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتَبوك ودخلوا في دين النصرانية » ثم ذكر مهاجرة كلب بعد الاسلام فقال : « وبقيت بنو كلب في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيّة منهم مُسلمون ومنهم متنصّرون » (لهُ بقيّة)

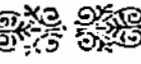

---

١) في التاريخ المذكور (Id. I, 212, 731)
٢) راجع المشرق السنة ١٢ (١٩٠٩ ص ١٦٣)

مطبوعات شرقية جديدة

DAS STEINBUCH DES ARISTOTELES, herausg. u. übersetzt von D^r Julius Ruska, *Heidelberg, Carl Winter's Universitaetsbuchhandlung*, 1912, VI-208

كتاب الاحجار لارسطاطاليس

في خزانة مخطوطات باريس العربيَّة كتاب موسوم بالعدد ٢٧٧٢ عنوانهُ « كتاب الاحجار لارسطاطاليس ترجمهُ لوقا بن سرابيون » فهذا الاثر لم يُبرهُ المستشرقون حتى يومنا بالًا اذ تحقَّقوا ان نسبتهُ الى ارسطو غير ثبتة مع ما يُعرَف من امر هذا الكتاب المفقود. غير انَّ احد اساتذة كليَّة هيدلبرغ الدكتور « يوليوس روسكا » رأى في نشر هذا الاثر افادة اوَّلًا لقدمهِ لانَّ ترجمتهُ هذه العربيَّة راقية الى القرون الوسطى. وثانياً لما يمكن استفادتهُ من هذا الكتاب لمعرفة الآرا. التي كان يتناقلها القدما. عن ارسطو وعن كتبهِ المفقودة. وثالثًا لبيان ما يوجد من العلاقة بين هذا الكتاب والكتب التي أَلَّفها العرب في الاحجار. وقد ذكر جناب ناشره (ص٢٣) كتاب التيفاشي المدعو كتاب ازهار الافكار في خواصّ جواهر الحجار وكتاب جواهر نامه الفارسيّ (ص٣١) وكان يمكنهُ ان يذكر كتاباً آخر نشرناهُ في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١: ٧٥١—٧٦٥) وهو « نخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الاكفانيّ » ثم عاد فنشرهُ في العام التالي صاحب مجلَّة المقتبس (السنة الرابعة ص٣٧٧—٣٨٨) وعلَّق عليهِ بعض التعليقات جناب اسكندر افندي عيسى معلوف (ص٥٨٢ و ٦٤١). ولم يخدم الدكتور روسكا العلمَ بنشره لهذا الاثر فقط بعد مقابلتهِ على نسخ أُخرى بل نقلهُ ايضاً الى الالمانيَّة وروى ترجمتهُ الى اللاتينية وجدها في جملة مخطوطات ليدن. واضاف اليه عدَّة ابحاث في كتب قدما. اليونان عن الاحجار الكريمة كتاوفرستوس وديوسقوريدس وغيرهما وفي انتشار علم الحجارة بين العرب والعجم. وخصَّ بالذكر ما ورد من ذلك في كتاب اخوان الصفا وفي كتاب آثار المخلوقات للقزويني. فترى من هذا النظر كيف علما. اوربَّا لا يباشرون بحثاً الَّا استوفوا كلَّ اقسامهِ اثابهم الله

ل. ش

Essai de Bibliographie pour servir à l'Histoire de l'Empire Ottoman par MM. G. Auboyneau et A. Fevret, Fasc. I., Religion, Mœurs et Coutumes, *Paris, Leroux*, 1912, p. 84

تعريف المطبوعات الخاصة بالتاريخ العثماني

انَّ دروس الشرق العثمانيّ مع اتّساعها وكثرة مطبوعاتها اصبحت واسعة المجال حتى يضيع فيها ارباب البحث فتسهيلًا للتفتيش باشر رجلان افرنسيّان بنشر مكتبة شرقيَّة تحتوي اخصّ المنشورات في تاريخ الدولة العثمانيَّة . والقسم الذي نجز من ذلك يحتوي وصف ٧٠٦ كُتُب ظهرت منذ اكتشاف فنّ الطباعة في الشرق والغرب في الاديان والاخلاق والعادات الشائعة في الشرق العثماني. فنحضّ كلّ من يريد الالمام بتاريخ الدولة العثمانيَّة على اقتناء هذا المجموع المفيد

The Conference of Orientalists including Museums and Archaeology Conference, held at Simla July 1911. *Simla, Government Central Branch Press*, 1911, p. 146

مؤتمر المستشرقين في سملا

في تموز من السنة الماضية دعت الحكومة الهنديَّة عمدة علمائها المستشرقين ليتباحثوا في مدينة سملا بامور الدروس الشرقيَّة فدارت الابحاث على كل ما يتوسط بالمدارس ودرس اللغات الشرقيَّة وتحسينها وترقيتها واصلاح ما اندسَّ اليها من الخلل ونشر آثارها النفيسة وتجهيز المتاحف الخاصة والمطابع في انحاء الهند. وكان للعربيَّة قسم طيب في هذه الابحاث مما يدلّ على مقامها في تلك الجهات. واعمال هذا المؤتمر مع تفاصيل مذاكراته قد جُمعت في كتاب خاص تلطّفت الحكومة الهنديَّة واتحفتنا بنسخة منهُ فنشكر لها فضلها

ل-ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES. VOL XVIII. Histoire des Mongols de Fadlallah Rachid ed-Din éditée par E. Blochet, *Leyden, E. J. Brill*, 1911, LXXII-617

كتاب جامع التواريخ تأليف رشيد فضل الله الهمذاني

كان متولي طبع هذا التاريخ الجليل جناب المستشرق «بلوشه» قدَّم عليهِ مجلداً ضخماً كتمهيد لنشر متنهِ وصفناه قبل سنتين (المشرق ١٣: ٥٥٠) وها هوذا اليوم قد انجز القسم الثاني منهُ الذي يحتوي اخبار امراء المغول خلفاء جنكيز خان مباشرةً

بابنهِ اوكتاي قاآن ثم چوچي خان ثمَّ چغتاي خان ثمَّ تولوي خان الى قوبيلاي قاآن وخيدو تيمور فوصف تملكهم على تركستان والختا وجهات الصين حتى خان بالق وهي پاكين. وقد ذيَّل المسيو بلوشه كل صفحة من صفحات هذا التاريخ بملحوظات وافية تدلّ على علم واسع. وفي الكتاب ١٦ صورة منقولة عن رسوم جميلة زاهية الالوان. ولهُ ايضاً في آخر الكتاب ملحق اصلح فيهِ بعض آرائهِ السابقة اوردها في الجزء الاوَّل. وخلاصة القول قد جاء هذا الاثر اهلًا بمنشورات جمعيَّة جيب التي اثنينا عليها غير مرَّة ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES: VI, DICTIONARY OF LEARNED MEN OF YAKUT edited by D. S. Margoliouth, D. L., vol. V, 1911, p. XII-520

ارشاد الاديب المعروف بمعجم الادباء لياقوت الرومي (الجزء الخامس)

عرف القرَّاء من اوصافنا السابقة ما في نشر هذا الكتاب النفيس من الفوائد لعظم مقام مؤلفهِ ولكثرة ما يتضمنهُ من تراجم الأدباء الواسعة وفي كل ترجمة من النكت والاخبار ما يعزّ وجودهُ في تراجم كاتب آخر. وهذا الجزء الخامس يشتمل سير الأدباء الذين اسماؤهم داخلة في حرف العين نخصّ منهم بالذكر عثمان بن الجنيّ النحوي الشهير (١٥—٣٢) وعليّ ابن احمد بن حزم « صاحب الفيصل بين اهل الآراء والنحل » (٨٦—٩٧). وعلي بن احمد الواحدي شارح المتنبي (٩٧ — ١٠٢) وعلي بن الحسن بن عساكر صاحب تاريخ دمشق (١٣٩ — ١٤٦) وابا الفرج علي ابن الحسين الاصفهاني مؤلف كتاب الاغاني (١٤٩ — ١٦٨) وعلي بن حمزة الكسائي اللغوي (١٨٢—٢٠٠) وابا الفتح علي بن محمد الشهير بابن العميد (٣٤٧—٣٧٥) وغيرهم. والكتاب مطبوع بحرف مشرق قابلهُ جناب الدكتور مرجليوت على نسختي اوكسفرد وبياي فاحسن ضبطهُ ل. ش

A. Boppe: Journal et Correspondance de GÉDOYN, CONSUL DE FRANCE A ALEP. (1623-1625) *Paris, Plon-Nourrit*, 1901, XXVIII-232 pp.

جدْوان قنصل فرنسة في حلب (١٦٢٣ — ١٦٢٥) ومراسلاتهُ

المسيو بوپ سياسيّ محنك قدَّرت الحكومة الافرنسيَّة قدرهُ فاقامتهُ منذ سنين

مساعدًا لسفيرها في الاستانة وهو ايضاً مؤرخ ممتاز خصَّص دروسهُ في الآثار الباقية من اخبار شرقنا لا سيما تاريخ السفارات لدى الدولة العليَّة والقنصليَّات في سوريَّة. وهذا الكتاب الذي نصفهُ للقرَّاء هو مجموعة مذكَّرات ورسائل كتبها احد قناصل فرنسة الاولين في حلب يُدعى جدوان (Gédoyn) من سنة ١٦٢٣ الى سنة ١٦٢٥ ولم يكن عندئذٍ للافرنسيين سوى اربع قنصليَّات في هذه الاطراف وهي قنصليَّة الاسكندريَّة وازمير وصيدا وحلب. ويلحق بحلب نوَّاب او قيس قناصل في الاسكندرونة وطرابلس وقبرس. ولم يقم جدوان في حلب الَّا مدَّة قصيرة ومن ثمَّ كانت اكثر الآثار المذكورة سابقة لباوغهِ مقرَّهُ او لاحقة. امَّا ما يعلمنا عن احوال حلب فمفيد لندور الصكوك التاريخيَّة في تلك السنوات. فنشكر لسعادة المسيو بوب اثره ونثني على معارفهِ

ا. ر

PREMIÈRES LEÇONS DE CATÉCHISME par l'Abbé Davot, *Paris, Bloud et C^ie^*, 1911, in-32. pp. 73

الدروس الاولى للتعليم المسيحي

نعم الكتاب وحبذا التأليف فهذا التعليم الصغير يوافق كل الموافقة احوال الناشئة وينطبق مع عقولهم فانهُ في صُحف قليلة يفيد الاحداث لُباب التعليم المسيحي على طريقة سهلة قريبة المنال ويفتح قلوبهم لامور الدين ومعرفة امور الآخرة بلا عناء كما تفعل الام بولدها. ومع ما يحتويه الكتاب من الاسئلة والاجوبة ترى في كلّ باب فوائد تاريخيَّة شتى وآيات انجيلية يُسرّ الاطفال بالاطلاع عليها مع بعض تراتيل روحية يتغنَّون بها وحلوات يتلونها صباح مساء. وقد جاء طبعهُ اللطيف وتجليدهُ الظريف كدافع جديد لاستعمالهِ

ي. ديلنسيغر

الاجنحة المتكسرة

تأليف جبران افندي خليل جبران

طبع في مطبعة جريدة مرآة الغرب في نيويورك سنة ١٩١٢ (ص ١٤٦)

صاحب هذه الرواية شاعر يتخيَّل العواطف ويختلق الظروف الغريبة فيظهرها في قالب ظريف بعبارة عربيَّة فصيحة يُستشفّ منها المستعار الغريب. وقد جعل مدار روايتهِ على الحبّ والغرام ووصفهما بانقى واسمى واكمل الصفات وضحّى لهما

كلّ عزيز ونفيس وشريف لانهُ ارتأى في فلسفته الحبيّة « انّ النفس اذا تطهّرت بالنار واغتسلت بالدموع تترفّع عمّا يدعوهُ الناس عيباً وعاراً وتتحرّر من عبوديّة الشرائع والنواميس التي سنّتها التقاليد لعواطف القلب البشري وتقف برأس مرفوع امام عروش الآلهة » زه ازه ا . ولمّا كان لا بدّ لبعض الكتّاب من ان يهينوا الاكليروس في كل ما يخطّهُ قلمهم فقد جعل المؤلف سبباً لانكسار الاجنحة الغراميّة القدّسة مطراناً وكهنة . ولو تركهم وشأنهم لقرّب الى المعقول موضوع روايتهِ ونزّه ادبهُ عن قولهِ مثلاً « . . . هكذا يصبح الاسقف المسيحي والامام المسلم والكاهن البرهمي كافاعي البحار التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة وتمتصّ دماءها بافواه عديدة » (ص ٥٥) . هذه وامثالها اقوال بذيئة ظالمة تحطّ بقدر قائليها ولا يُقدم اديب على كتابتها حتى ولو كانت صحيحة اذا قولك بها وهي في الغالب اكاذيب ملفّقة ا . ر

تحريم نقل الجنائز المتغيّرة

رسالة دينيّة علميّة اصلاحيّة حرّرها السيد هبة الدين الشهرستاني

طبعت في بغداد بمطبعة الشابندر سنة ١٣٢٩ (ص ٥٠)

قد ألف اهل الشيعة في العجم خصوصاً العادة بوصاة نقل رُفاتهم الى النجف لتُدفن هناك في كربلاء قريباً من مشهد الحسين . وقد رأينا ذلك بالعيان يوم دخلنا بغداد في اواخر تشرين الثاني من السنة ١٨٩٥ حيث انتظرنا ثلاثة ارباع الساعة عند جسر مدينة السلام ريثما تمرّ القوافل الحاملة لموتى الشيعة المنقولة الى مدافنها . وقد رأى جناب الاستاذ هبة الدين الشهرستاني في هذا العمل شيئاً اراد ابطالهُ فبيّن بهذه الكرّاسة انّ ما يستند اليهِ اهل ملّتهِ لنقل موتاهم بدعة مستحدثة لا يمكن تأييدها بحديث ثابت بل تشتمل على كثير من المحرّمات فضلاً عمّا ينتج عن هذه العادة من المضرّات بالصحة العموميّة ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ رسالة رعائيّة الى موارنة ابرشيّة بيروت لسيادة المطران بطرس شبلي بتناية حلول الصوم المبارك ١٩١٢ . في كنيسة المسيح . في المطبعة الكاثوليكية ببيروت (ص ٤١)

٢ رسالة رعائيّة اصدرها سيادة المطران انطون عريضة مطران طرابلس في فرصة الصوم المبارك سنة ١٩١٢ في محبة الله تعالى . في المطبعة الكاثوليكية ببيروت (ص ٣٧)

٣ باكورة الكرم خطابان وقصيدة تُليت في احتفال جمعيّة القراءة الوطنيّة في بحمدون (لبنان) مطبعة الحسناء في بيروت (ص ٣٢)

٤ برنامجات: ١ً جمعية طوبيا البار لدفن الموتى لسنتها الثامنة والعشرين. ٢ً لجمعيّة اخوة الفقراء المارونية لسنتها الثالثة عشرة والرابعة عشرة. ٣ً للجمعيّة الخيريّة المارونية في راس بيروت لسنتها الثالثة. كلها في المطبعة العلمية ليوسف صادر سنة ١٩١١. ٤ً لاخوية مأوى الغرباء المسيحيين لسنتها الثالثة ١٩١٠. ٥ً لجنة اعانة فقراء الروم الكاثوليك في دمشق لسنة ١٩١٠. في مطبعة الاصلاح سنة ١٩١١

شذرات

تحيّة الصليب نظم الاديب سليم ابو رزق احد طلبة كليتنا هذا المخمس اكراماً للصليب المقدّس في جمعة الآلام:

نحن الألى وصليبُ الربّ رايتنا شعارُنا الحبُّ والإخلاص عادتنا
وموتنا في سبيل الدين غايتنا نعمَ الممات الذي فيهِ سعادتنا
من ماتَ في حبِّ من جوى فما خسرا

عليك منّا سلامٌ ايها العَلَمُ يا رايةً جندُها بالحرب ما ندموا
كم ناضلوا عنك ما زلّت بهم قَدَمُ ذاقوا العذاب وما خارت لهم هِمَمُ
ماتوا وفي موتهم أوليتنا الظفرا

ماتوا شهودًا ويا ما أكثر الشهدا نحصي النجوم ولا نحصي لهم عددا
فهُ درُّهمُ لم يرهبوا الأسدا ولم يجابوا لهيبًا يحرق الجسدا
فكيف يرهب من في حبّكَ استترا

لمّا بنى قبرَكَ الباقي وما ارتدعا ظهرتَ في الجوّ فوق الجيش مرتفعا
وصوتك الساحر الفتّان قد سُمعا « بهذا انتصارك فسطنطين » فاندفعا
نحو العدى فغدا في الحرب منتصرا

وقام من بعدهِ اعداؤك العجمُ واستأسروكَ زمانًا ايها العَلَمُ
مشى هرقلٌ على الاعداء فانهزموا وخلّص الجذع منهم بعد ما غنموا
فكان عيدٌ عظيم يبهر البصرا

وقام في عصرنا الملعون واتحدوا مواطنين على الرب الذي جحدوا
توعّدوا شعبهُ المختار واضطهدوا قالوا لاتباعهم لا ربّ فابتعدوا
عن الصليب ابتعادًا يمنع الخطرا

قد كان جذعك يلقي الرعب والهربا واليوم اصبح يولي الحبَّ والطربا
ما الفضل للجذع لكن للذي صُلبا حبًّا بنا فوقانا الشرّ والحطبا
مات المسيح فاحيا موتهُ البشرا

أيا صليب التقى والحبّ والأملِ يا من عليك تجلّت قوّة الازلي
يا من صبغت شديدًا من دم الحملِ طهّر قلوب الملا من وصمة الزللِ
ودُم مدى الدهر بين الناس منتشرا
لمّا انتصرتَ على الرومان والعجمِ وكسّرت جذع الفدا في مركز الشممِ
اوليتنا رايةً مصبوغةً بدمٍ خرّت لسطوتها الدنيا على القدمِ
لاح الصليب فوقى الشركُ منذعرا
حيّوا الصليب وحيّوا راية الظفرِ فالعزّ في ليس العزُّ للبشرِ
علوتَ يا جذعُ فوق الشمس والقمرِ خفقت فوق السما والانجم الزهرِ
حيّوا الصليبَ مدى الاجيال منتصرا

اعتناق سيدتين ابيسكوباليتين الكنيسة الكاثوليكيّة نشكر هذه المرّة مجلة الكلمة لذكرها تحت هذا العنوان انضواء سيدتين من اشرف اهل اميريكا الى الديانة الكاثوليكيّة فقالت (ص ١٥١):

ان الصحف الاميريكيّة الابيسكوبالية قد ملأت اعمدتها مؤخرًا بمقالات عن السيدة قرينة شقيق رئيس الجمهوريّة الاميريكية المستر تافت لمروقها من الكنيسة الابيسكوبالية (الانكليكانية) الى الكنيسة الباباوية. ونحرير الخبر انهُ في اواخر شهر كانون الثاني الماضي قد حضر الخطيب الشهير الاب برنارد يوتا اليسوعي (والصواب حضرة الاب فون «Vaughan» اخو الكردينال فون رئيس اساقفة وستمنستر) لاجل القاء سلسلة خطابات في الكاتدرائية الكاثوليكية في نيويرك عن الاشتراكية. فلدى مقابلتهِ السيدة المومأ اليها قد فحكن بفصاحة لسانهِ وقوة جنانهِ من اقناعها بالمروق من كنيستها الابيسكوبالية والارتداد بالكنيسة الكاثوليكية. وهكذا في اوائل شهر شباط الماضي قد تمّ اتحادها بالكنيسة الكاثوليكيّة رسميًا على يد الاب المومأ اليهِ في حفلة كنائسية حافلة. ثم لم تلبث ان تبعتها سيدة ابيسكوبالية أخرى وهي مسز بوست شقيقة امراة فندربلت التجري الاميريكي الشهير

الحكم على غليليو يسرّنا ان ننقل هنا ما روتهُ مجلة المقتطف في عددها الاخير الصادر في آذار (ص ٣١١) عن غليليو قالت:

خطب السر جون مكدونل استاذ مقابلة الشرائع في ١٤ فبراير الماضي في الكلية الجامعة ببلاد الانكليز وكان موضوع خطبتهِ المقابلة بين طرق المرافعات والاحكام في الازمنة المختلفة فنفى بادلة كثيرة ما يقال من ان غليليو طُرح في السجن وعُذب فيهِ ورجح انهُ عومل بالرفق وانّ محاكمتهُ سنة ١٦٣٣ لم تكن لانهُ خالف ما وعد بهِ في محاكمتهِ الاولى سنة ١٦١٦ بل لانهُ اتّهم بالمروقة. واستطرد الخطيب الى القول بانّ كثيرين من علماء اللاهوت البروتستانت كانوا في ذلك العصر يشمئزون من مذهب كوبرنكس كما كان ديوان التفتيش يشمئز منهُ»

وكان الأولى لو قال الخطيب ان غليليو دُعي الى المحاكمة لا لتأييدهِ مذهب

كوبرنيك الكاهن الكاثوليكي في دوران الارض الذي لم تعارضهُ الكنيسة بل لخوضهِ في ميدان لم يكن من فرسانها اذ اراد ان يسند المذهب الكوبرنيكي الى آيات الكتاب المقدّس فأخرجها من معانيها . ومن اراد التفاصيل في ذلك فليراجع مقالتنا المعنونة « صواب الرأي في دعوى غليلاي » في المشرق السنة التاسعة ١٩٠٦ (ص ١٧٨) وبها جواب مقنع لكلّ من يكرّر هذه الشكوى على الكنيسة دون تروّ كما فعل آخرًا احد كتبة جريدة رقيل (le Réveil) فردّ عليهِ البشير . وكما فعل ايضاً السيد رفائيل هواويني في العدد الرابع من سنة الكلمة الحالية حيث نقل كلاماً لا يستطيع اثباتهُ في حقّ الكنيسة الكاثوليكيَّة فروى قولهُ : « ان الكنيسة الكاثوليكيَّة في القرون الوسطى على الخصوص كانت تضطهد العلم وتعيق مسير العرفان » . فليتفضل الكاتب ويُفدنا ايّ علم اضطهدتهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة فتبين لهُ ضعف مدَّعاه ان لم نقل تطرّفهُ

زجليَّة على خراب طرابلس كان حضرة الخوري ابراهيم حرفوش نشر في العام الماضي (المشرق ١٤ : ٤٣٣) زجليَّة يُدعى مؤلفها سليمان من اشلوح انشدها بالشعر العامّي رثاء لخراب طرابلس لمَّا فتحها الملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٨٨ هـ الموافقة للسنة ١٢٨٩ م . وكنَّا نجهل اذ ذاك ان الزجليَّة المذكورة سبق الى نشرها الاستاذ الروماني الشهير اغناطيوس غويدي في المجموع الذي خصَّهُ المستشرقون بيوبيل العلَّامة الاسباني كوديرا (Homenaje a D. Francisco Codera) في الصفحات ٣٤٢ — ٣٤٨ وفي مقدّمة الزجليَّة هناك قد نسبها الدكتور غويدي لجبرائيل ابن القلاعي الاسقف الماروني الشهير المتوفى سنة ١٥١٦ وعلى ظننا ان هذا غلط وقع بالنسخة الخطية الواتيكانيَّة التي وردت فيها (كما في النسخة التي اخذ عنها حضرة الاب حرفوش) عدَّة زجليَّات لابن القلاعي فظنَّ الدكتور انَّ هذه ايضاً منها والصواب انَّها ليست لابن القلاعي كما يُستدلّ من احد ابياتها الاخيرة في النسختين وهو قولهُ :

وقائلها شاعر من اشلوح سكنهُ مشهور بين الورى اسمهُ سليمان

وبين نسختنا ونسخة الدكتور غويدي بعض اختلافات جزئيَّة لا تمسّ جوهر الزجليَّة الَّا انَّ الابيات تزيد في طبعة الدكتور ثلاثة عن طبعتنا بل وقف جنابهُ على نسخة ثانية من القصيدة فاثبت في ذيل الكتاب رواياتها المختلفة

أسئلة وأجوبة

س سألنا مستفيد عن معنى هذا الشعار IHS الذي كثيرًا ما يُرى بين النقوش على هيئات مختلفة وكثيرًا ما يُجعل فوق حرفه الثاني صليب هكذا ✝

معنى الشعار IHS

ج انَّ هذه الحروف الثلثة من المختصرات التي كثرة فيها الاقاويل فمنهم من زعم انَّها مختصرة من ثلاثة الفاظ لاتينيَّة «Jesus Hominum Salvator» اي يسوع مخلِّص البشر ومنهم من قال انَّها الشعار الذي رآه قسطنطين بحذف لفظته الاخيرة In hoc signo (vinces) اي تظفر بهذه العلامة أمَّا الاصح في ذلك ان هذه الحروف اوَّل اسم «يسوع» باليونانيَّة IHS اي IHSOUS وباللاتينيَّة اي IESUS واصلها من الشعار الموضوع فوق صليب السيد المسيح O IHCOVC NAZAPAIOC اي يسوع الناصري

س سألنا احد الكهنة بنسبة مؤتمر المستشرقين الذي سينعقد في نيسان في مدينة اثينة كم هي مؤتمرات المستشرقين واين عُقدت

مؤتمرات المستشرقين

ج بلغت هذه المؤتمرات ١٦ عدًا عُقد اوَّلها في باريس (سنة ١٨٧٣) والثاني في لندن (١٨٧٦) والثالث في بطرسبرج (١٨٧٧ والرابع في فلورنسة (١٨٧٨) والخامس في برلين (١٨٨١) والسادس في ليدن (١٨٨٣) والسابع في فينة (١٨٨٦) والثامن في ستوكلم (١٨٨٩) والتاسع في لندن (١٨٩٢) والعاشر في جنيفا (١٨٩٤) والحادي عشر في باريس (١٨٩٧) والثاني عشر في رومية (١٨٩٩) والثالث عشر في هَمبورغ (١٩٠٢) والرابع عشر في الجزائر (١٩٠٥) والخامس عشر في كوبنهاغ (١٩٠٩) والسادس عشر في اثينة (١٩١٢)

س وسألنا اوغست افندي قشوع عن معنى الكتابة الموجودة على باب الدركة

ج تجد صورتها وشرحها في مُلحق كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي طبعناه (في الصفحة ٢٧٧) ل.ش